الفصحى واللهجات العربية المعاصرة
علاقة اتصال أم انفصال؟

إعداد

الأستاذ الدكتور/ عبد العالي ودغيري

ظاهرةُ تعدُّد مُستَوَيات الاستعمال داخلَ كلِّ لغةٍ من اللغاتِ البشَرية، هي في حدِّ ذاتها ظاهرةٌ طبيعيةٌ عاديةٌ لا تكادُ تخلو منها لغةٌ من اللغات، ولاسيما اللغات ذات الرَّصيد الحضاري والمَعرِفيِّ الثقافي والعِلمي والأدبي الضَّخم، وذات الامتداد الزَّمَني والجُغرافي الواسعِ والاحتكاكِ الطويل بأكبَر عددٍ من الثقافات واللغات والحضارات. فليس هناك لغةٌ بَشَريةٌ مُقتَصِرةٌ على مستوىً واحد من الاستعمال إلا إذا كانت لغةً معزولةً ومحدودةَ الانتشار جداً وليس لها أيُّ تاريخ ثقافي وعلمي. وأقَلُّ ما يُمكِن أن يوجَد في اللغات العادية مُستَوَيان اثنان: أحدُهما مَكتُوبٌ يَستوعِبُ اللغةَ «العالَمةَ» التي يستعملُها العلماءُ والمُثَقَّفون عامةً ورجالُ الفكر والأدب ومختلَف أصناف العُلوم والصحافة والإعلام والإدارة، وهُم يُفكِّرون في رَويةٍ وأَناةٍ، ويكتبُون في غيرِ ما عَجَلَة وارتجالٍ، ويُلقُون خِطابَاتهم التي أَمعنُوا فيها النَّظَرَ وراجَعُوا كلَّ كلمةٍ أو عبارةٍ منها حتى يكون لها الوَقعُ المَرغُوبُ، والثاني شَفَويٌّ يستعملهُ الناسُ عامةً ــ مُتعلِّمون وغيرُهُم ــ في تخاطُبهم الآني اللَّحظِيِّ السَّريع الصادرِ عن تِلقائيةٍ وعَفويةٍ وارتجالٍ، لا عن توقُّفٍ وتَدبُّرٍ وتَأَمُّلٍ. والمستوى الأولُ هو الذي يُطلَقُ عليه عادةً اسمُ (الفصيحِ) ــ وقد يسمَّى الأدبيَّ أو الثقافي، ويسميه فرجسون وغيرُه من علماء اللسانيات الاجتماعية بالشكل الأعلى (high variety). والثاني هو الذي يُطلَقُ عليه اسمُ (العامي)، أو الدارِجُ، أو المُرتَجَلُ، أو الشَّعبي، ويسميه علماءُ اللسانيات الاجتماعية بالشكل الأدنى (low variety)... وليس ذلك قَدحاً فيه، ولكنه مُجرَّدُ تحديدٍ لمجالات استخدامه ووصفٍ لوظيفته. وكما أن هنالك

ثقافةً عالِمةً وثقافةً شعبية، وأَدَباً فَصيحاً وآخَر يُسمّى شَعبياً، هنالك في مُوازاة ذلك، لغةٌ عالِمةٌ ولغةٌ شعبيةٌ. وقد تسمى الكلمةُ أو العبارةُ عاميةً أو شعبية لمجرد أنها أصبحت مُبتَذَلةً (familière)[1] بكثرة تداولها بين الناس، فيتَجنَّبُ استعمالَها المُتأَنِّقون والمُتحَذلِقون من المُثَقِّفين والفُصحاء الذين يتنافسون في البحث عما يَرفعُهم ويُميّزُهم عن بقية مُستعمِلي اللغة، وبذلك تُضافُ إلى سِجلِّ الألفاظ الشعبية أو العامية، رغم أنها في الأصل من الفصيح الذي لا غُبارَ عليه. لا لسَبَبٍ إلا لهذا الابتذال وكثرةِ التداوُلِ الذي قد يُطلقون عليه (الإسفافَ) أيضاً، فعبارةُ (بيت الماء) مثلاً، عبارةٌ صحيحةٌ دالةٌ في المغرب على المكان الذي يُستعمَلُ للوُضوء والطهارة، لكن الفئة المُثَقَّفة تَستنكِفُ من استعمالها في كتاباتها الفصيحة، وتستعيضُ عنها بكلمة (مِرحاض) أو (مَطهَرة) أو (كَنيف)، لا لسبَبٍ إلا ما ذكرتُ. وكلمةُ (عَفَس) بمعنى داسَ فَصيحة نَصَّت عليها القواميسُ القديمة، لكن المُتأَدّبين في المغرب يربأُون بأَنفُسهم عن استعمالها؛ لأنها من كثرة الابتذال أصبحت مقصورةً على المستوى الشعبي، وأصبح نادراً بين الناس من يعرف أنها عربيةٌ فصيحةٌ صحيحة. وكذلك فعلُ (حَشَمَ أو حَشِمَ) يستعملهُ العامةُ عندنا

---

١ في الفرنسية يقسِّمون مستويات أساليب الاستخدام للغتهم إلى الدرجات الآتية: المستوى الرفيع: recherché، والمستوى الأدبي: littéraire، والمستوى المُبتذَل: familier، والمستوى الشعبي:vulgaire. وأما تَدَرُّجات اللغة فهي على النحو الآتي: langue, dialecte, parler, patois, argot (لغة ، لهجة، لُغَيَّة ، لهجة إقليمية، عامية).

فتَستنكِفُ منه الخاصةُ وتستعيضُ عنه ب(استحيَى وخَجِلَ أو احتَشَمَ)، أما المَصدر من هذا الفعل، فلا أجدُ أحداً من الخاصة يستعمل (الحُشُوم) رغم فصاحته، فقد تخلَّوا عنه للعامة التي تستعمله بصيغة التأنيث (الحُشُومة)، أما الخاصة فتستعملُ بدلَه (الحِشمة) و(الاحتشام). والسبَبُ هو ذاتُه دائماً.

ومن أشهر الألفاظ التي تُهجَرُ لكثرة الابتذال الألفاظُ الدالةُ على أعضاء الجنس وما يتعلَّقُ بها من مُمارَسات، وما أكثرها في اللغات. فكلما شاع لفظٌ منها، افتضَحَ أَمرُه، وأصبحُ ذكرُه في بعض المقامات يُسبِّبُ حَرَجاً لمُستعمِله، فيُستَبدَلُ بلفظٍ غيرِه باللُّجوء إلى أُسلوب الكناية أو الاستعارة والمجاز. والابتذالُ هو أحدُ العوامل المؤدِّية إلى تكاثُر ظاهرة التَّرادفِ والمُترادِفات في اللغات.

وليس الابتذالُ وحدَه الذي يُميِّزُ المستوى العاميَّ عن الفصيح. وإنما أيضاً هناك اللَّحنُ والتَّحريف الصوتيُّ والدلالي والنحوي والصرفي والإكثارُ من الأعجمي دون تقيُّدٍ بالقواعد المَرعيَّة في التعريب والتعاملِ مع الأجنبي الدخيل. فالمثقَّفُ مثلاً يقول: (الأستاذ) والعاميُّ يقول: الأُستاز(بإبدال الدال زاياً كما في لهجة المصريّين)، والأول يقول: صَغيرٌ والثاني يقول (زغير) في اللهجة اللبنانية والشامية، والمُثَقَّف يعرف أن العربية لا تبتدئ بساكِن، فيقول (مَتاعٌ ــ غَريب ــ كَبير...الخ) والعامي لا يحترم مثل هذه القاعدة فيقول (مْتاع ــ غْريب ــ كْبيرْ... الخ). والأول يقول (دخل الناسُ) والآخر يقول: (دَخَلوا الناس) ، والأول يقول في مخاطبة جماعة الإناث: (أنتُنَّ) والآخر يخاطبهُن بقوله (أَنتُما) كما في لهجة المغرب. والمُثَقَّفُ يعرف أن

أصوات (V – P - G) لا تُستعمَل في العربية، ولذلك فهو يُحوِّلُ كلَّ صوتٍ منها عند نَقل كلمةٍ أجنبية إلى أصواتٍ أخرى موجودةٍ في العربية، وقد يتصرَّفون في الكلمة بالتغيير إضافةً وحَذفاً وتَحويراً حتى يُلحقُوها ببناء عربيٍّ سليمٍ كما قال سيبويه[١]، والآخر يتكلَّم على سَجيَّته لا يُبالي بشيءٍ من ذلك. فالعاميُّ يستعمل كلمة (التْرامْوايْ أو الطْرامْوايْ) على هذا النحو الغريب على النظام الصرفي العربي، والمُثَقَّف لا يُرضيه ذلك، فيحاول إخراجَ الكلمة في صيغة من الصيغ المقبولة عربياً فيقول مثلاً (التِّرامُ أو الطِّرامُ) إلحاقاً لها بصيغةِ (فِعال) كفِطامٍ وقِطارٍ وكِتابٍ ونحوها. والمُثَقَّف يعمدُ في الغالب إلى ترجمة اللفظ الأجنبي أو البحث عن مقابلٍ له في اللغة المُستَقبِلة، والعامي لا يبالي بذلك، ولا يُتعبُ نفسَه بالبحث والمُعاناة، فيأتي باللفظ الأعجمي على صورته الغريبة الفَجَّة، ولذلك ترى الأول يقول (هاتف، محمول، ناسُوخ، سَيّارة أو عَرَبَة... الخ) والثاني يقول: (تلفون، بُورطابل، فاكس، طُوموبيل..).

على أننا نجدُ ــ في العادة ــ حتى داخلَ كلِّ طبَقةٍ من هاتين الطبَقتَين (أو شَكلَي الاستعمال المذكورَين) مُستوياتٍ ودرَجاتٍ مُتفاوِتةً. فداخلَ العربية الفُصحى القديمة مثلاً، كنا نجدُهم يُقسِّمون الكلامَ العربيَّ من حيثُ درجةُ الفَصاحة إلى: أفصَح وفَصيح وأقلُّ فصاحة، وذلك حسَبَ الهَرَمية. الآتية:

ــ كلامُ الله (وهو أَفصَحُ كلامٍ عربيٍّ على الإطلاق) المُتمَثِّل في النَّص

---

١ انظر: (باب ما أُعرِبَ من الأعجمية) في **كتاب سيبويه** ١/ ٣٠٢ .

القرآني المُنزَّل.

ــ كلامُ رسولِ الله (صلى الله عليه وسلَمَ) وهو أفصَحُ العرَب. ويتَمَثَّلُ في النصوص الحَديثية المَرويَّة باللفظ لا بالمعنى وحده.

ــ كلامُ قُرَيشٍ وهي أفصحُ القبائل العربية كما قالوا.

ــ كلامُ القبائل الفصيحة الأخرى التي أُخِذَ منها اللسانُ العربي (وهي مُحدَّدة في نص الفارابي وغيره)[١].

ــ كلامُ بقية القبائل العربية الأخرى، وهو أقَلُّ المراتب فصاحةً يُحفَظُ ولا يُقاسُ عليه.

وقال السيوطي في التمييز بين الفصيح والأفصح: «قال في **الجمهرة**: البُرُّ أفصَحُ من قولهم القَمحُ والحِنطة، وأَنصَبَه المرَضُ أَعلى مِن نَصَبَه، وغَلَبه غَلَباً أَفصَحُ من غَلْبَاً، واللُّغُوبُ أَفصَحُ من اللَّغْبِ (...) وفي **الصَّحاح**: ضَرَبَةُ لازِبٍ أَفصَحُ من لازِمٍ، وبُهِتَ أَفصَحُ من بَهُتَ وبَهِتَ...»[٢].

وحتى داخل مستوى اللهجات العربية القديمة، كان الناسُ يُفاضِلون بين هذه اللهجة وتلك، فقد ذَمُّوا مثلاً بعضَ اللهجات لما فيها من الكَشكَسَةَ أو الكَسكَسة أو العَنعَنَة أو الفَحفَحة أو التَّلتَلة أو العَجعَجة أو التَّضَجُّع أو الاستنطاء، أو الطُّمطُمانية (وهي لهجةُ حِمير اليَمَنية)، وصَنَّفوها ضمن (المَذموم) أو (المُستَقبَح) أو (المُستَبشَع) أو (الرديء)، وفضَّلوا لغةَ قريش

---

١ انظر: المزهر للسيوطي ١/٢١١ ــ ٢١٢، و**قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب**: ص: ١٥٩.

٢ **المزهر** ١/ ٢١٢

لكونها خاليةً من مثل هذه « العُيوب».

أما في الفُصحى الحديثة، فنحن أيضاً نستطيع أن نميِّز بين مستوى لغة النَّثر الفَنِّي التي تصدُرُ عن كبار الأدباء والشُّعراء والكُتّاب، ولغة الكتابات العلمية ذات المجالات المختلفة، ولغةِ الِّدين، ولغة الإدارة والصحافة والإعلام والخِطابات السياسية. كما نستطيع في العامية أن نميِّز بين لغة الفئة المُتعلِّمة من الناس، والفئة المُوغِلة في الجهل والانعزال والأُمِّية، والفئة المتوسِّطة بين هاتين الطبقتين، كما نميِّز بين عامِّية أصحاب كلِّ حِرفة أو مِهنة أو صناعة، وبين عاميات كلِّ مِنطقة من مناطق البَلَد العربِّي الواحد، فأحرى بين عامياتِ كلِّ بلَد على حِدة. ولا يقتصِرُ الاختلاف بين كُتّاب الفُصحى على الجانب المُعجمي وتنزيل الألفاظ في مراتبَ متفاوتة، وإنما يتجاوزُه إلى أساليب التركيب والنَّظم التي تختلفُ من مستوى لغويٍّ إلى آخر. فتجد الكاتبَ الذي يُمعِنُ في اختيار أُسلوبه وألفاظه وتراكيبه ويحاول الارتفاع بها إلى درجة الخاصةِ أو خاصة الخاصة، وتجد الآخر الذي يكتُب بلغة بسيطة أقربَ ما تكون إلى العامية، ولا يُحرِجُه أن يضع فيما يَكتُب عباراتٍ أجنبية أو شعبية أو مُبتذَلة، فهو على سجيَّته يعبِّرُ بعفوية تامةٍ كما يُعبِّرُ الإنسانُ الشعبيُّ.

وهذا التقسيم التَّزامُني أو الأُفُقي لمستويات الفُصحى والعامية يُقابِلُه أيضاً تقسيمٌ تاريخي أو عَمُودي يعكِسُ التطوّر الطبيعي الذي مَرَّت به هذه اللغةُ، فنقول في الفُصحى مثلاً: فُصحى العصر الجاهلي، وفُصحى العصر الإسلامي الأول، وفُصحى العصر العباسي، وفُصحى العُصور المتأخرة، وفُصحى بداية عصر النهضة الحديثة، والفُصحى المعاصِرة. ومثلُ ذلك يمكن أن نفعلَه مع اللهجات أو العاميات، فهي تختلفُ باختلاف التاريخ كما

تختلفُ باختلاف الجُغرافيا، واختلاف طبقات المُستعملين ومِهَنِهم ونوعيَّتهم ومُستواهم الثقافي.

ثم إن معايير الحُكمِ بالفَصاحة على كلمة أو تركيبٍ تختلفُ من مجالٍ معرفيٍّ إلى آخر. فالفصيح نحوياً ليس هو الفصيح بلاغياً أو صوتياً أو مُعجمياً[١].

إذن هناك دائ-ماً مستوياتٌ من الاستعمال سواءٌ بين طبَقَتَي الفُصحى والعامية، أم بين شرائح كلِّ طبقة منهما. وإلى هنا تبدو المسألةُ عاديةً ومقبولةً وطبيعية، بل قد تبدو وكأنها علامةٌ من علامات الصِّحَّة والعافية في اللغات، وثَرائِها وغِناها وتنوُّع أساليبها ومُستوَيات استخدامها، وأن ذلك لا يتمُّ للغةٍ من اللغات إلا بعد فترةٍ طويلة من النمُوِّ والتطوُّر والتجارِب الطويلة والاحتكاك والتفاعُل مع محيطاتها الجغرافية والثقافية المختلفة. وقد تعايَشَت فُصحى العربية مع عاميتها طيلةَ العصور السابقة بشكل طبيعي دون أن يُثير ذلك أيِّ إشكال أو إزعاجٍ؛ لأن الجميع كان يعترفُ للفُصحى بمكانتها المُتميِّزة، ويُقِرُّ بأن العامية إنما هي انحرافٌ بدرجاتٍ مُعيَّنةٍ عن الفُصحى وتطوُّرٌ طبيعيٌّ لها، وبأن كلاًّ من المُستَوَيَين يقوم بوظيفته الخاصة به والمُعترَف بها اعترافاً كُلّياً من قِبَل المُجتمع[٢]. بل إن

---

١ راجع الباب الأول من كتابنا: **قضايا المعجم العربي**.

٢ يعتبر كبارُ المتخصِّصين في علم اللغة الاجتماعي وفي مقدمتهم ، فرجسون وفيشمان وفاسولد ، خاصية الوظيفة من أهم الخصائص التي تميِّزُ ظاهرة الثنائية أو الازدواجية اللغوية التي قد تتخذ أشكالاً متعددة: كأن تكون بين لغة وأخرى، أو بين لغة ولهجة من لهجاته، كما قد تكون بين أساليب لغة أو لهجة. المهم أن =

اللَّحنَ ــ أي الخُروجُ عن قواعد الفُصحى، كان يُتَقبلُ أحياناً في بعض المقامات والسِّياقات قَبُولاً حَسَناً ويُستَملَحُ وجودُه ويُستَظرَف. وعلى ذلك جاءَ قولُ الشاعرُ يصفُ جاريةً استحسَنَ غناءَها لما فيه من اللَّحن:

مَنطِقٌ صائبٌ وتَلحَنُ أحيا ** ناً. وخيرُ الحَديث ما كان لَحناً[1]

وكذلك كان الأمرُ في بعض المُوشَّحات التي يَتعمَّدُ أصحابُها إدخالَ ألفاظٍ عامية أو دخيلة فيها على سبيل الطُّرفَة والاستملاح.

لكنْ ما الذي حدَثَ حتى أصبحت الظاهرةُ خطيرةً أو مُزعِجةً في عصرنا هذا؟

عادةً ما يبرُزُ المُشكِلُ بين الفُصحى والعامية ويُصبحُ أمراً خطيراً يستدعي التدخُّل والمُعالَجة في حالتَين:

الأُولى: عندما يحدُثُ تباعُدٌ كبير، بين المُستَوَيَين المَكتُوب والمَحكِيِّ، أو حين تتحوَّلُ الهُوَّةُ بين اللغة ولَهجاتها ــ أو إحدى لَهَجاتها ــ إلى فَجوةٍ عميقة، يُنذِرُ بانفصالِ الشِّقَّين بعضِهما عن بعضٍ.

الثانية: حين تُستغَلَّ هذه الفَجوةُ لسَبَبٍ عارِضٍ أو إيديولوجية مُعيَّنة، لإعلان القطيعة النهائية بين الطرَفَين، وتمرُّدِ الفَرع على الأصل وإعلان

= يكون هناك شكلٌ أعلى وآخر أدنى تحدِّدهما وظيفةُ كلٍّ منهما (راجع: **ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق**، للدكتور إبراهيم الفلاي ص ١٢٠).

١- كان بعضُ اللغويّين القدامى، ومنهم أبو بكر بن دريد، يُفسِّرُ اللَّحن في هذا البيت بمعنى التَّورية، وهو أن تقول قولاً يَفهَمُه عنكَ ويَخفَى على غيرك. انظر: **الأمالي** لأبي علي القالي. المكتب التجاري، بيروت (دون تاريخ) ج١ص ٦.

استقلاله التامِّ عنه. وقد حدَثَ للَّهجات الرومانية (أو الرومانسية) أن أعلَنَت استقلالَها عن لاتينية القرون الوُسطى وأصبح كلٌّ منها لغةً لوحدِها. وقبل ذلك حدَث للغة العُروبية الأصلية (التي يسمِّيها المستشرقون بالساميَّة) أن انفرَطَ عِقدُ لَهجاتها حين تباعدَ بعضُها عن بعضٍ شيئاً فشيئاً، فأصبحنا أمام لغاتٍ مستقلَّة عوضَ لهجاتٍ للغة واحدة: عربيةٍ وعِبرية وسُريانية وحَبَشية... الخ. والعربيةُ نفسُها انقسَمَت عبرَ مراحِلها التاريخية إلى بائدة وعارِبة ومُستعرِبة، وشمالية وجنوبية. ولقد حَدَثَ أيضاً للهجة العربية التي كانت سائدةً في مالطا (وأصلُها من عربية الشمال الإفريقي) أن تحوَّلت إلى لغةٍ مُستَقِلّة بسَبَبِ ابتعادها عن الفُصحى واختلاطها الشديد بلغاتٍ مَحلّية إيطالية وصِقلّية وغيرهما، وحدثَ أيضاً للهجة العربية المُستعملة في الصُّومال أن تحوَّلت بدورها إلى لغةٍ مُستَقلَّة بعد انحرافها الشديد عن الأصل العربي، ويمكن لعربية تشاد المُكوَّنة من العربية وخليطٍ من الفرنسية ولغات إفريقية محلية، أن تُصبح لغةً مستقلةً.

ولقد استغلَّ دُعاةُ الاحتلال الغربي بالفعل وضعيةَ اللغة العربية، ولاسيما حين وجَدُوها على ما كانت عليه في القرن التاسع من التخلُّف والجُمُود، والتفاوُت الكبير بين فُصحاها ولَهَجاتها. فشَنُّوا حَمَلاتٍ ضارية على الفُصحى متِّهمينَ إيّاها بكُلِّ ما هو معروفٌ عنهم من النُّعوت والأوصاف التي تتفِقُ كلُّها على أمرٍ واحدٍ هو أنها لا تصلُحُ لشيءٍ في العصر الحديث. وفي مقابِل ذلك، أفاضُوا وأَسهَبُوا في الإشادة بأهمية العامّيات واللهَجَات المتفرِّعة عنها، وكانوا معها في غاية الكَرَم والسَّخاء والانسجام

والتَّشجيع، داعينَ إلى إحلالها مَحلَّ الفُصحى، ضاربينَ المَثَل دائماً بقصة اللاتينية وما جَرَى لها مع اللغات الرومانية المتفرِّعة عنها. وإذا كان الاحتلالُ الاستيطانيُّ قد ولَّى زَمنُه، أو على الأقل، قد تراجَعَ في الغالب ولم يعُد مُستساغاً في هذا العصر، فإن الغَزو الثقافي واللغوي ما يزالُ في أَوجِ ازدهاره وعُنفُوانه وقُوَّته وتأثيره. وكلُّ هؤلاء الذين نراهُم اليوم يَهتِفُون باسم (العامِّيات واللهجات) في عالَمنا العربي، ويُطالِبون بإلغاء الفُصحى أو إخراجها من كلِّ المجالات الحيوية وحَصرها في زاوية الاستعمال الديني، هم بلا شكٍ ولا رَيبٍ من الواقعين ــ بشكلٍ أو بآخر ــ تحت تأثير هذا الغزو الثقافي الأجنبي. ولو تَفَحَّصتَ مَلِيّاً أَمرَ هؤلاء «المُناضلين» ــ الذين يرفعون أصواتَهم من داخل الأوطان العربية ــ من حُماة العامية الدارجة لوجدتَهُم في غالبيتهم العُظمى من خرِّيجي المدارس الأجنبية في الداخل أو الخارِج، وأكثَرَهم لا يعرفُون من العربية إلا وجَهَها اللَّهَجي الدارِج على الأَلسُن الذي تعلَّمُوه بالصُّدفة في الشارِع أو البَيت لا في المعاهِد والمدارس والأكاديميات، ولا علمَ لهم بالفُصحى إلا ما سَمِعوهُ عنها من أساتذتهم في تلك المدارس والجامعات الأجنبية أو ما قرأُوه في كتابات أعداء العربية والحاقدين عليها أو الجاهلين بها. ولن تجد ــ إلا القليلَ الشاذَّ ــ أشخاصاً تعلَّموا في المدارس العُمومية الوطنية ببلد من البلدان العربية، فأحرى الذين نشأَوا منذ الصغر على حُبِّ لُغة أُمَّتهم، يقفُون في وجه الفُصحى أو يتحمَّسُون لإبادتها وإحلال العامية محلَّها. وهنا يبرُزُ أَمامنا الدورُ الخطيرُ الذي تقومُ به المدارسُ الأجنبيةُ التي تنخُر كِيانَنا العربي في صَمتٍ. فإذا كنتُم

تحسبون أنها تقدِّم لأبنائنا النوعيةَ الجيِّدة أو الراقية من التعليم، فلتعلموا أيضاً أنها تعملُ زاحفَةً غيرَ مُتوانية ولا مُتَمَهِّلة، نحو تكوين أجيالٍ من النُّخبة تتقوَّى يوماً بعدَ آخر لتُحدِثَ أقصى ما يُمكنُ إحداثُه من الشُّروح داخل النسيج المُجتَمعي الذي لا يُنتِجُ سوى صراعاتٍ فكرية ولغوية تُهدِّدُ الانسجامَ والتماسُكَ الاجتماعيَّين باستمرار. ولا يعملُ سوى على تفكيك وحدته وتمزيق لُحمته إلى شرائحَ مُتباينة فكراً وسُلوكاً ولغةً، وبالتالي لا يمكن لمجتمع تَنخُرُه هذه الآفاتُ إلا أن يكون ضعيفاً مُهلهَلاً ومُعرَّضاً للخطَر في أمنه الثقافي واللغوي الذي يؤِّثرُ سلبياً على الأمن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وعلى كل مجالات التنمية[١]. ولهذا السبَب بالذات كانت الحركةُ الوطنية بالمغرب في السنوات الأولى من الاستقلال قد رسَمت تخطيطاً لغوياً مَبنياً على أُسُس وطنية من أهمها: مبدأ توحيد التعليم، بمعنى توحيد المدارس ذات الوجُّهات المختلفة التي كانت سائدة في فترة الحماية، في مدرسة وطنية تخضع لمناهج تضعها الدولةُ وتُشرِفُ على تنفيذها. حتى تتمكَّن من تخريج أجيال من المتعلِّمين المُتساوين في فُرص التكوين والتحصيل، وفي قدر ضروري من التربية الوطنية والدينية والثقافة والتشبُّع بقيَم المُواطَنة الصالحة والتعلُّق باللغة الوطنية والقومية باعتبارها مُكوِّناً أساسياً من مكوِّنات الهوية.

ولنَعُد الآن إلى سياق حديثنا عن الفَجوة الكبيرة التي قد تؤدي إلى انفصال اللهجات عن اللغة التي تفرَّعَت عنها، لنَسأل: هل بَلَغَت مَسافةُ البُعد بين الفُصحى العربية ولَهَجاتها المُعاصِرة إلى الحَدِّ الذي يُشكِّلُ ذلك

١- راجع بحثنا عن: **دور اللغة العربية والتنمية** ٢٠١١م.

الخطر الذي نخشاه؟

في الجواب عن ذلك، نقول: لا مَناصَ منَ الاعتراف بأن الهُوَّةَ بين الفُصحى العربية ولَهجاتها آخذةٌ في التزايُد، وقد يتَّسعُ الخَرقُ على الراتِقِ إذا لم يُتَّخَذ أيُّ تدبيرٍ أو تخطيطٍ لغويٍّ فَعالٍ للحدِّ منها. ولا شكَّ في أن هنالك عواملَ ساعدَت على اتِّساعها في الماضي وتعمَلُ على تعميقها في الحاضِر. كما ينبغي الاعترافُ بأن هناك أخطاراً جسيمةً يؤدي إليها هذا الوضعُ إذا استمرَّ على ما هو عليه أو تفاحَشَ وتحوَّلَ لأكثرَ مما هو عليه.

لكننا مع ذلك نقول: إن هذه الهُوَّة رغمَ اعترافنا بوجودها، وبضرورة الحَذَر الشديد منها والتَّحَسُّب لها، فهي الآنَ قابلةً للإصلاح والعِلاج إذا اتُّخِذَت التدابيرُ السريعة اللازمة للحدِّ منها ومُعالجتها معالجة صحيحة ـــ كما قُلتُ ـــ، ولاسيما أن الأمر لم يصل بعدُ إلى حدِّ القطيعة والانفصال التام بين الفُصحى والعامية كما يُحبُّ بعضُ ضِعاف العُقول وذوو الأهواء المُغرِضة من أعداء الأُمة أن يُصوّروه لنا. فالمسألةُ لا تخلو من تهويلٍ وتضخيمٍ لمُشكل المُزاوجة بين الفُصحى والعامية، وأن كثيراً مما يُقالُ ويُكتَب حول هذه الظاهرة فيه كثيرٌ من التضليل والمُغالطة كما بيَّناه في مقالةٍ سابقة[١].

ولمعالجة هذه القضية سوف نتوقَّفُ عند النُّقط الآتية:

أولاها: حجمُ هذه الفجوة الحاصلة، وعلاقات الاتصال والانفصال بين الفُصحى والعاميات المعاصرة.

ثانيتها: العوامل التي أدت إلى تزايُد حَجم هذه الفَجوة ماضياً وحاضراً.

---

١ – الودغيري: **الدعوة إلى الدارجة في المغرب**.

ثالثُتها: الأخطار التي قد تنشأُ عن التهاون في معالجة الظاهرة.

رابعتُها: ملامح التخطيط اللغوي الذي ينبغي العملُ به لتفادي سلبيات الظاهرة.

١ ــ اللهجات المعاصرة وعلاقتها بالفُصحى:

إذا أردنا أن نشخِّص حجمَ الفَجوة الحاصلة بين فُصحى العربية ولَهَجاتها، لا بد لنا من التطرُّق إلى ما هو حاصِلٌ في علاقات الاتصال والانفصال بين المُستَوَيَين، وقياسِ الدرجة التي وصلت إليها هذه العلاقاتُ من التباعُد أو التقارُب. ومن أجل ذلك نقول:

١ــ ١ ــ علاقات الاتصال:

هناك بين الفصحى ولهجاتها علاقةُ اتصالٍ وعلاقةُ انفصالٍ. وهناك اختلافٌ بين اللهجات فيما يكون فيه الاتصالُ أو الانفصالُ، بمعنى أن مظاهر الاتصال أو الانفصال ليست دائماً متشابِهةً ولا موحَّدة، بل تختلفُ من لهجة إلى أخرى. لكن بالمقابل هناك، بمثابة قاعدة عامة، مساحةٌ مُشترَكة بالضرورة بين الفصحى وكلِّ اللهجات لا بُدَّ أن تظل كذلك، وكلما اتسَعت هذه المساحةُ زاد الاتصالُ، والعكسُ صحيحٌ، أي كلما تقلَّصت مساحةُ المُشترَك زادت مساحةُ الاختلاف.

ورغم أن المجال المعجمي ــ في العادة ــ هو الأكثر عُرضةً للتحوُّلات والتغيُّرات المستمرَّة، فإنه لا بُدَّ مع ذلك من رصيد معجميٍّ ثابتٍ ومستمِرّ، تشتركُ فيه كلٌّ من اللهجات على اختلافها واللغة الفُصحى بكل مستوياتها. وهذا الرصيدُ المعجمي الوظيفي المشترَك والثابتُ هو النواة الصُّلبة في اللغة

التي تنتقلُ من جيلٍ إلى آخر، وهو الذي يُؤَمِّن إمكانية التواصُل المُستمر بين سائر مُستعمليها على اختلاف لهجاتهم، رغم كل التغيُّرات والتحوُّلات الأخرى، فيضمن بذلك بقاءَ هذه اللغة واستمرارَها، كما يضمن ــ باستمرارها ــ وجودَ تلك العلاقة الاتصالية بين اللهجات والفُصحى. وغالباً ما يتكوَّن الرصيدُ المعجميُّ لهذه النواة الصُّلبة المُشترَكة من الألفاظ الوظيفية الضرورية، تبتدئُ من أسماء الأعضاء الأساسية في جسم الإنسان (رأس، شَعَر، جُمجمة، وجه، عَين، فم، لسان، أسنان، شفة، لحية، كتف، قفا، يَد، ذراع، أصابع، جِلدٌ، عظم، بطن، قلب، كبد، طُحال، رئة، مصارين، فَخِذٌ، وَركٌ، رجل ، قدَم... الخ). ثم أسماء بعض ما حول الإنسان من فضاء وطبيعة ومحيط (سماء، أرض، ماءٌ ، تراب، رَملٌ، بحر، صحراء، نهر، واد، جبل، سَهل، حجَر، سحاب، مطر، رعد، برق، نجم، شمس، قمَر، ليل، نهار، صُبح، مساء، ضوء، ظلام، برد، حَرٌّ، جَوٌّ، هواءٌ، رياح، شمال، جنوب، شرق، غرب، فوق، تحتَ، صباح، مساء، ظُهر، عصر، غروب، شروق، بيت، منزل، خيمة، سقف..الخ)، وكذلك أسماء الألوان الأساسية: أبيض، أسود أو أكحل، أزرق، أصفر، أحمر، أخضر، رمادي.. الخ. ومنها إلى بعض الأشياء الضرورية التي يحتاجُها الإنسان على الدوام: (خبز، طعام، أكل، شُرب، حليب، شجر، نبات، تَمر، لحم، زيت، مِلحٌ.. الخ)، والكلمات الدالة على القرابة مثل: (أب ــ أم ــ ابن ــ أخ ــ أخت ــ عمٌّ ــ خال ــ حفيد ــ جَد ــ ابن الأخ ــ ابن العَم ــ ابن الأخ أو ابن الأخت...)، وكذلك الألفاظ الدينية الأساسية في المجتمع المُسلِم، مثل: إلاه،

رَبٌّ، دينٌ، صلاة، صوم، حج، زكاة، سُجود، ركوع، تشهُّد، وضوء، تيمُّم، تكبير، إيمان، كُفر، شِرك، شيطان، ملاك، جهنَّم، جنة، عذاب، قبر، موتٌ، حسابٌ ، عقاب، صراط، تقوى، توبة... الخ.

هذه القاعدةُ المُعجمية العامة التي تنطبِق على كل اللغات وما يتفرَّع عنها من لهجات، نجدها أيضاً ساريةَ المفعول في اللغة العربية. فهناك نواةٌ صُلبةٌ من المُعجم المُشترك بين الفُصحى وجميع لهجاتها المُعاصرة. وهذا ما يقرّره أيضاً العالِم اللساني الأمريكي فرجسون حين يقول إن معظم كلمات الشكلين الأعلى (الفصحى) والأدنى (العامية) مشتركةٌ، وغالبية كلمات الشكل الأدنى موجودةٌ في الشكل الأعلى ولكن باختلاف في التركيب والاستخدام أو المعنى. كما يقرّر فرجسون أن الشكل الأعلى هو الذي يستخدم أكبرَ قدر ممكن من ألفاظ العلوم وما يتبعها من مصطلحات[١].

وقد ظهرت في المرحلة المعاصرة فكرةُ القواميس الوظيفية التي تتضمَّن الألفاظَ الأكثر تداولاً بين مُستعمِلي اللغة، وعَرفَت اللغةُ العربية نماذج منها، **كالرصيد اللغوي الوظيفي** الصادر عن اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي المغربي العربي سنة ١٩٧٥م، و**قائمة الرياض للمفردات الشائعة في اللغة العربية** التي وضعها الدكتور داوود عبده، **وقائمة الخُرطوم** التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، و**قائمةُ مكة للمفردات الشائعة**، التي أشرف على إعدادها أستاذنا الدكتور تمام حسان، وقد اشتملت على ٥٤٤٦ كلمة. وهي نموذج لهذه النواة الصُّلبة من المعجم المُشترك الذي يستمرُّ تداوله

١- راجع: **ازدواجية اللغة**، للدكتور الفلاي.

أطولَ فترةٍ مُمكنة بين أكبر عدد من مستعملي اللغة، ويكون بمثابة المعجم المدرسيِّ الذي ينبغي تعليمُه للناشئة في سائر الأقطار العربية سعياً للحفاظ على الضروري من اللغة المشتركة [١].

ومن الناحية الصوتية، هناك لا شك قاعدة صوتية مشتركة تبدو أكثر صلابةً واتساعاً من المُشترَك المعجمي، إذ نجد أن كل أصوات العربية الموجودة في الفصحى يُحافَظُ عليها في كل اللهجات باستثناء أصوات معينة يتمُّ الاستغناءُ عنها أحياناً (كالثاء، والظاء، والذال التي تُعوَّضُ بالتاء والضاد والدال)، وأخرى يتمُّ إضافتُها (كالگاف) التي تُعوِّضُ القافَ في بعض اللهجات، وثالثة يُبدَلُ بعضُها من بعض (الثوم/ التوم ــ الظهر/ الزهر ــ القَلب / الأَلب ــ..الخ)، أو تحويلها: كتحويل الهمزة إلى ياء (كائن / كاين ــ قائمٌ قايم.. الخ)، أو إسقاطُها في النُّطق (كإسقاط همزة الوصل (العَلَوي / لعلَوي ــ القاضي / لقاضي..)، أو إدغامُ بعضها في بعض (كِيراك ؟ = كيف أراك؟). وهناك صور أخرى للتحوُّلات الصوتية لا حاجة للإطالة بذكرها.

وفي الجانب الصَّرفي أيضاً نجد أن أغلب الصيغ الصرفية في الفُصحى مُحافَظٌ عليه سواء في باب الأفعال أم الأسماء والمصادر(فَعَلَ، يفعل، افعَلْ ــ فاعِل، مفعول، مُستفعَل، افتعالٌ، فَعلٌ، مُفاعَلَةٌ ــ تفاعُلٌ ــ فَعّالٌ ــ مِفعَلٌ ــ مَفعَلٌ ــ مِفعالٌ...). وفي المجال النحوي لا نجد على وجه العُموم اختلافاً

١ وانظر حول قضية المتن المعجمي المشترك: الودغيري: **نحو رصيد لغوي أساسي**، ضمن كتابنا: **دراسات معجمية، نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى**.

جذرياً بين نَمَط تركيب الجُمل في الفصحى عن نظيره في العاميات إلا في جُزئياتٍ بسيطة، رغم وجود نوعٍ من التَّأثُّر بين لهجات العربية ولَهجات اللغات المحلية في الأقاليم العربية المختلفة.

وبالإضافة إلى هذه النواة المشتركة بين عامة اللهجات العربية والفُصحى، هناك علاقاتُ اتصالٍ إضافية مما هو خاصٌّ بكل لهجة لَهجةٍ مع الفُصحى المُشترَكة. ففي كلِّ لهجة عربية هناك مئاتُ الألفاظ والتعبيرات الفَصيحة ــ لو حَصَرنا الأمر تجنُّباً للإطالة في مجال المعجم وحده ــ التي تحتفظُ بها كلُّ لهجةٍ من اللهجات وتختصُّ بها دون بقية اللهجات. وهي إما:

أ ــ من الفصيح القديم الذي هَجَرته الفُصحى الحديثة وظلَّ حيّاً ومستعملاً في لهجةٍ من اللهجات المحلِّية أو الإقليمية دون أدنى تغيير أو مع تغيير بسيطٍ صوتاً أو دلالةً أو هُما معاً.

ب ــ وإما من الفصيح الجديد الذي ولَّدته الحاجةُ في منطقة معيَّنة من مناطق انتشار العربية، مع مُراعاته لكل مقاييس الاشتقاق والتوليد عملاً بالقاعدة: ما قيسَ على كلام العرب فهو عربيٌّ.

فأما الزُّمرة الأولى من الفصيح القديم المهجور الذي بقيَ حياً في بعض اللهجات على أصله نُطقاً ودلالةً، فمن أمثلته البارزة في العامية المغربية:

الزُّبية: بمعنى الحُفرة[١]، وخاصة الحُفرةُ التي تُوضَع فيها نارٌ. جاء في

---

١ تُستعمل **الزُّبية** في اللهجة الجزائرية الحالية بمعنى: المكان المُهيَّإ على سَطح الأرض لإلقاء بَعرِ المواشي فيه (انظر مقالة الدكتور عبد الجليل مُرتاض بعنوان: **الأضداد الفصيحة في العامية الجزائرية** ، ضمن: مجلة: **اللغة العربية** ، الصادرة عن المجلس =

لسان العرب: « والزُّبيةُ: حُفرةٌ يَتزَبَّى فيها الرجلُ للصَّيد، وتُحتَفَرُ للذئب فيُصطادُ فيها. قال ابنُ سيدة: الزُّبيةُ حُفرةٌ يَستَتِرُ فيها الصائدُ (...) والزُّبيةُ بئرٌ أو حُفرةٌ تُحفَرُ للأسد...».

الكانُون: بمعنى: المَوقِد الذي تُوقَدُ فيه النارُ للطبَّخ، وقد يُطلقُ مجازاً على المَطبخ نفسه: وفي **الصِّحاح واللسان**: «الكانونُ والكانُونة: المَوقِدُ. والكنُونُ: المُصطَلَى).

تَفَنَّقَ: أي: بَطَرَ النِّعمةَ ولم يقنَع بالموجود أو بالقليل. وفي القواميس الفصيحة: تفنَّقَ وأَفنَقَ: تنعَّمَ بعد بُؤسٍ، وفنَّقَه: نَعَّمَه.

البالةُ: الحُزمةُ تُضَعُ فيها الأثوابُ وغيرها. وفي **اللسان**: «البالةُ: الجِرابُ ضَخماً كان أم صغيراً». وفي **كتاب العَشرات في غريب اللغة** لأبي عمر الزاهد(ت٣٤٥هـ): «والبالُ جمعُ بالة، وهو الجرابُ الضَّخمةُ». وقيل إن الكلمة من المعرَّب القديم[1]. وقد دخلت هذه الكلمةُ إلى اللغات الأوربية ومنها الفرنسية (balle) بالمعنى نفسه.

بالزَّزِّ: أي بالقُوةِ والعُنف، ويقال فَعلَه بالزَّزِّ: على كُرهٍ منه. وأصلُه في الفصيح من زَزَّه: صَفَعَه. قال في **القاموس المحيط**: « زَزَّ: أهمله جمهورُ المُصنِّفين. وفي **البسيط في النحو**: زَزَّهُ يَزُزُّه زَزّاً: صَفَعَه». وأضاف في **تاج العروس**: « نقلَه الشيخُ أبو حيان وقال: كنتُ أظنُّ أنها ليست عربيةً، إلى أن ذكر لي شَيخُنا الإمامُ

= الأعلى للغة العربية بالجزائر (راجع: قائمة المصادر والمراجع).

١ ذكر الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في: **تطور الفكر واللغة** أن الجاحظ (ق٣هـ) قد استعمل الكلمة في **كتاب البيان والتبيين** بلفظ (البال).

اللغويُّ الحافظُ رضيُّ الدين الشاطبي أنها عربية. ورأيتُ غيرَه من اللغويّين قد ذكرها، وهي شائعةٌ بالأندلس. قال شيخُنا[1]: وقد أغرَبَ في نَقله عن صاحب **البَسيط**، فإني وقفتُ عليه في **كتاب الأبنية** لابن القطاع...».

زَرَّفَ: يقولون في عامية المغرب: زرَّفَ فلانٌ في حديثه أو كلامه وفي كلِّ شيءٍ بمعنى: بالَغَ وتجاوزَ المعقول. وفي **القاموس المحيط**: «زَرَفَ في الكلام: زادَ كزَرَّفَ». وفي **اللسان**: «كان الكلبيُّ يُزَرِّفُ في الحديث: أي يَزيدُ فيه ». وفي **محيط المحيط** للبستاني: «زَرَّفَ الرجلُ في الكلام: زادَ فيه وكَذَبَ. وزَرَّفَ الشيءَ: جمع إليه ما ليس منه».

عَمّاريّةٌ: وهي عبارةٌ عن هَودَجٍ أو نحوه يُتَّخَذُ للعروس في حفل الزِّفاف. وهو لفظٌ قديمٌ في العربية يعود إلى القرن الرابع الهجري على أقل تقدير. جاء في **كتاب مقاتل الطالبيّين** (ص ٣٤٢) لأبي الفرَج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) قولُه في خبَر يحيى بن عبد الله بن الحسن الوزير الفضل بن يحيى البرمكي: «شَخَصَ يحيى مع الفَضل حتى وافَى بغدادَ ودخلها مُعادِلُه في عَمّارية على بَغلٍ». وقد أوردها الثعالبيُّ أيضاً في **لطائف المعارف** (راجع: **تكملة** دوزي). وكلمة (عَمّارية) استعملها أيضاً القزويني في **آثار البلاد** ص٤١٣ وهو يتحدث عن الوزير نظام الملك الحسن بن علي السلجوقي (ت ٤٨٥هـ) فقال: «وقد خرج من أصبَهانَ وبه عَقابيلُ المَرَض في العَمّارية».

---

١ يقصد الشيخ أبا عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الفاسي (ت١١٧٠هـ) صاحب **الحاشية** المشهورة على **القاموس المحيط**، وهو شيخ الزَّبيدي في اللغة وعنه ينقل كثيراً.

هَوتَةٌ: مكانٌ منخَفِضٌ. والكلمةُ كانت مستعملةً في الأندلس[١] ومنها انتقلت إلى المغرب. وهي من الفصيح القديم. قال في **اللسان**: « الهَوتَةُ والهُوتَةُ: بالفتح والضمِّ: ما انخفَضَ من الأرض واطمأَنَّ».

شَوَّطَ : يقولون: شَوَّطَ اللحمَ بمعنى: وضعه فوق النار أو أحرقَه بها. وفي الفصيح: شَوَّطَ وشَيَّطَ بمعنى واحد. لكن المغاربة لا يستعملون إلا شَوَّط ــ بالواو، وهي لهجةٌ يمنية ذكرها الحميري في **شمس العلوم** ٦/ ٣٥٨٧). لكنهم يستعملون المصدر بالياء (الشياط).

رَهيفٌ: رقيقٌ جداً. وفي **شمس العلوم**: سيفٌ رَهيفٌ: رقيقٌ.

الحَصيدةُ: الأرضُ المحصودة. وفي **شمس العلوم**: ٣/ ١٤٦٩:«الحَصيدُ: المَزرعة والمحصودةُ».

زَوَّلَ: يقولون في المغربية: زوَّله بمعنى: أزاله. وهذا الاستعمال المغربي نصَّ عليه الحميري في **شمس العلوم** ٥/ ٢٨٧٧ فقال: «زَوَّلتُه عن المكان: أي أَزَلتُه، والمصدر التزويلُ».

زَيَّرَ: يقولون في المغرب: زَيَّرَ الحبلَ أو الشيءَ أو الحِزامَ: إذا شَدَّه، وهو من أصل فصيح قديم[٢]. جاء **في شمس العلوم** ٥/ ٢٨٨٤: « الزِّيّارُ: ما يُزَيِّرُ

---

١ يذكر القزويني في **آثار البلاد** ص ٥١٢ مدينة بَسطة الأندلسية القريبة من جَيّان ويقول: «بها بِركةٌ تُعرَفُ بالهَوتَة، فيها ما بين وجه الماء إلى الأرض نحو قامة».

٢ وليس صحيحاً ما قاله الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في كتابه: **تطور الفكر واللغة** ص ١٨٠ من أصل الكلمة من الدخيل الفارسي الذي دخلَ إلى المغرب عن طريق التركية.

به البيطارُ الدابةَ (أي: يشدُّ به مِشفرَها) ».

شَكوةٌ: وهي في المغرب القِربة من الجلد تُتَّخَذُ لمخض اللبَن ولحفظ الزَّيت ونحوه. وفي **اللسان**: «وهي وعاءٌ كالدَّلو أو القِربة الصغيرة وجمعُها شُكَىً». ونقل عن ابن سيدة أنها وعاءٌ من أَدَمٍ يُبَرَّدُ فيه الماءُ ويُحبَسُ فيه اللبَنُ.

عَفَسَ: في المغرب يقولون: عَفَسَ عبيه: داسَه بقدميه. وهو فصيح قديم. قال في **اللسان**: «والعَفسُ: الدَّوسُ».

الزِّوانُ: نوعٌ من الحُبوب، قال في **شمس العلوم** إنها لغةٌ في الزُّؤان بالهمز.

الخُرصةُ: وهي في عامية المغرب: كلُّ حَلَقة من الحديد أو الخشَب أو شيءٍ آخر. وفي **شمس العلوم** ٣/ ١٧٥١«الخُرصُ: الحَلَقةُ من الذَّهب والفضة والجميعُ: أخراص».

الحَسيفة: في عامية المغرب: هي نوعٌ من الضغينة أو الحِقد وما يبقى في النفس من ذلك. وفي **شمس العلوم** ٣/ ١٤٤١:«الحَسيفةُ: العداوةُ. قال:

فماتَ و لم تَذهَب حسيفةُ صدره ** يُخَبِّرُنا عن ذاك أهلُ المَقابِرِ».

الفُمُّ: بمعنى الفَم، فالمغاربةُ يستعملون الكلمة بهذه الصيغة أي بضم الفاء والميم المُشَدَّدة وأحياناً تُخَفَّف، وهي لغةٌ فصيحةٌ في الفَم. فقد نقلت القواميسُ القديمة عن الفرّاء قوله: قَبَّلَها في فُمِّها وثُمِّها. ونقلوا عنه قوله: «يُقالُ: هذا فَمٌ بفتح الفاء وتخفيف الميم (...) ومنهم من يقولُ: هذا فُمٌ ومَررتُ بفُمٍ ورأيتُ فُمَّ، فيضُمُّ الفاءَ في كلِّ حالٍ كما يفتحُها في كل حال، وأما بتشديد الميم فهو يجوزُ في الشعر كما قال محمد بنُ ذُؤَيب الفُقَيميُّ:

يا لَيتَها قد خَرَجَت من فُمِّه حتى يعود المُلكُ في أُسطُمِّه»

الشناق: الحَبلُ يُربَطُ به. وفي الفصيح: الشِّناقُ: الخيطُ يُشَدُّ به فَمُ القِربةُ..».

السبُولة: السُّنبُلة. وكذلك هي واردةٌ في الفصيح (انظر: **شمس العلوم** ٥/ ٢٩٤٩).

مَديُونٌ: وهي لغةُ تميم في (مَدين). والمغاربة يستعملون على هذا القياس أيضاً: (مَبيوع) مكانَ (مَبيع) القياسية.

البَطَّةُ: آنيةٌ من الفَخّار أو الزُّجاج مثل القِنِّينة يُوضَع فيها الزَّيتُ والسَّمنُ والعسَلُ وما أشبَهَ. وفي **شفاء الغليل** قال: « البَطَّةُ: القارورةُ. عربيٌّ صحيحٌ. والعامةُ تُطلقُه على ما يوضَعُ فيه السَّمنُ ونحوُهُ. قال ابنُ تميم:

دُعِيتُ وكلٌّ أكلي فَخــذُ طَيرٍ ولـــم أَشرَبْ من الصَّهباءِ نُقطهْ

وما يومي كأَمسِ ، وذاكَ أَنِّي أَكلتُ أَوَزَّةً وشَرِبتُ بَطـــــَّه»

عَبَرَ: الشيءَ: وَزَنَه. وكذلك هي في الفصيح القديم. جاء في **اللسان:** « عَبَرَ المَتاعَ والدراهِمَ يَعبُرُها: نظَرَ كَم وزنُها وما هي ».

طَلَّسَ: الشيءَ: لَطَّخَه أو خلَطَ بعضَه ببعضٍ حتى اختفَت معالمُهُ، كذا تستعمل في عامية المغرب. وفي الفصيح القديم: يقال: طَلَّسَ الكتابَ: محاه (انظر: **شمس العلوم** ٧/ ٤١٤٩). وفي الحديث عن الرسول عليه السلام أنه أمَرَ بِطَلسِ الصُّوَر التي في الكعبة. أي معناه: بِطَمسها ومَحوها (انظر: **اللسان**).

ومن الأمثلة على ما تغيَّر لفظُه تغيُّراً طفيفاً مع الاحتفاظ بمعناه دون تغيير:

الخَليعُ: في لهجة المغرب: لحمٌ يُقَدَّدُ ويُجَفَّفُ ثم يُطبَخ بالزيت والشَّحم وبعض التوابل. وفي **شمس العلوم** للحميري ٣/ ١٨٧٦:«الخَلعُ: لحمٌ يُقَطَّعُ

قِطعاً صِغاراً ويُقلَى مع الشَّحم حتى يَجِفَّ، ثم يُجعلُ في إناءٍ فيجمُدُ. ويقال: الخَلعُ: القَديدُ المَشويُّ».

الزّلافَة: صَحفةٌ صغيرةٌ يُتناول فيها الطعامُ. وبهذا المعنى وردت في القواميس القديمة بصيغة (زَلَفة). فالفرقُ هو في مدِّ اللام في اللهجة المغربية. قال في **شمس العلوم** ٥/ ٢٨٢٢: «الزَّلَفةُ: الصَّحفةُ بلغة بعض أهل اليمن. وفي حديث النبي عليه السلام في ذكر يأجوج ومأجوج: ثم يُرسلُ عليهم مطراً فيغسِل الأرضَ حتى تتركُها كالزَّلَفَة. وبالمناسبة، نذكر أن هناك كثيراً من الاستعمالات المغربية نجد أصلها من اللهجة اليمنية القديمة.

الياجُورُ: وهو الآجُرُّ. وقد وردت لهذه الكلمة صيغٌ كثيرةٌ منها: الأَجُور، والأَجُرّ واليأجُور... وقد استعمل المغاربة الصيغةَ الأخيرة مع تسهيل الهمزة كعادتهم في أكثر الكلمات المهموزة.

العَتْلةُ: بسكون اللام في اللهجة المغربية. وهي في الفصيح القديم: (العَتَلَة) بالتحريك. قال في **اللسان:** حَديدةٌ كأنها رأسُ فأسٍ عريضةٌ في أسفلها خشَبَةٌ يُحفَرُ بها الأرضُ والحِيطانُ.

خَربَقَ: الشيءَ: أي أَفسَدَه كما في **اللسان**.

الصّابَةُ: وهي المحصول الزراعي أو الغَلَّةُ، وهي مُحرَّفةٌ من (الإصابة)، ذكرها يحيى بن خلدون وهو يصف مدينة تلمسان. وقد تنبَّه لهذا دوزي في **تكملته**.

الخُنُونة: بمعنى: المُخاط الذي يخرُج من الأنف. وجاء في **شمس العلوم** ٣/ ١٦٧٤:« الخُنانُ: داءٌ في الأنف وفي الإبل مثل الزُّكام في الإنسان ».

ومما تغيَّر معناه وتطوَّرت دلالتُه في العامية المغربية:

الشَّفّارُ: اللِّصُّ، والشَّفّارُ في الفصيح هو صاحبُ الشَّفرة (**تاج العروس**)، ولما كان اللصُّ يستعمل الشَّفرةَ سلاحاً في العادة أطلقَ عليه المغاربةُ: الشَّفّار مجازاً.

القَيطُونُ: خِباءٌ، خَيمةٌ من الثَّوب أو غيره، وهي كلمة قديمة في العربية الفصيحة دخلت إليها من اللاتينية (الرومية). وذكرها الجوهري وغيرُه بمعنى المَخدَع أو بيت في جوفه بيتٌ.

الحَريرةُ: أُكلةٌ مغربية معروفة عبارة عن حساءٍ يُطبخُ من شيءٍ من الدقيق ومواد أخرى. وفي **شمس العلوم**: الحرية: دقيقٌ يُطبَخُ بلَبَن.

التَّرّاسُ: تُستعملُ في جهاتٍ من المغرب بمعنى: الرجلُ. وهي في الفصيح بمعنى الشخص الذي يحملُ تُرساً (راجع: **شمس العلوم**). وهذا من التطور الدلالي.

السَّفُوفُ: في لهجة أهل الرباط: طَحِينةٌ يتمُّ إعدادُها بطريقة خاصة، ومعناها في الفصيح: ما يُسَفُّ من دواءٍ وسَويقٍ ونحوه (راجع: **شمس العلوم واللسان**).

الجُونَةُ: في لغة أهل الشمال المغربي: إناءٌ صغيرٌ مُقَعَّرٌ من الخَزَف أو الوَدَع أو الخَشَب يُشرَبُ فيه اللَبَنُ ونحوُه من السوائل ويسمى في المشرق: السُّلطانية. وهي في الفصيح: سُلَيلةٌ مُغَشّاةٌ بالجِلد يُحفَظُ فيها الطِّيبُ. وفي الحديث: (جُونَةُ عَطّار). والجَونةُ ـــ بفتح الجيم: الخابية مَطليَّةٌ بالقار وكذلك الدَّلوُ المُسوَدَّة (انظر: **اللسان** و**شمس العلوم**).

البَحِيرةُ: تُطلَقُ في المغرب منذ عهد المرابطين (ق٥هـــ)على بُستان أو

مزرعة للخُضَر[١]، والبَحيرةُ في الفَصيح هي الناقةُ أو الشاةُ التي كان العربُ يشقُّون آذانَها ويتركونها لا تُركَبُ ولا تُذبَحُ ولا تُمنَعُ من ماءٍ أو مَرعَى. وهي المذكورة في القرآن الكريم ﴿ما جعلَ اللهُ من بَحِيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وَصيلةٍ ولا حامٍ ﴾.

السَّفيفة: خُيوطٌ تُنسَجُ بطريقة خاصة لتزيين الملابس التقليدية كالقفاطين والجلابيب. وفي الفصيح: سَفيفةُ حِزامُ الرَّحل، وما نُسِجَ من الخُوص، وهي من سَفَفتُ: أي: نَسَجتُه (راجع: **شمس العلوم واللسان**).

القَبُّ: في الفصيح: الرأسُ، ومنه cabo الإسبانية وcap الفرنسية، لكنه في المغربية يدلُّ على الجزء العُلوي من البُرنُس أو الجِلباب يُغَطَّى به الرأسُ.

المرَمّة: آلةٌ لنسج الأثواب (وتنطقُ بسكون الميم) ، وهي مشتقة من رمَّ الشيءَ إذا أصلحه (وفي القواميس الفصيحة: مَرمَّة بفتح الميم مصدر رمَّ وليس اسم آلة)..

الرياضُ: يدلُّ في الفُصحى على معنى الجمع (جمع رَوضة) ويُستعمل في المغربية بمعنى المفرد. مثلُه في ذلك مثل **جِنان** الذي أصبح يدلُّ في المغربية على مرادف (جنة) بالمفرد.

---

١ جاء في **كتاب الكامل في التاريخ** لابن الأثير ١٠/ ٥٧٧ لا.ط. دار صادر ١٩٦٦م وهو يتحدث عن المهدي بن تومرت: «فلما رأى المصامدةُ كثرةَ المرابطين وقُوَّتَهم أسنَدوا ظُهُورَهم إلى بُستانٍ كبيرٍ عناك، والبُستانُ يُسمى عندَهُم: البَحيرةَ ، فلهذا قيل: وقعةُ البَحيرة، وعام البَحيرة». والوقعة المُشار إليها كانت بين المرابطين والموحدين سنة ٥٢٤هـ وفيها كانت نهايةُ المرابطين.

ومما طرأ عليه تحويلٌ صوتي بإبدالٍ أو قلب:

بَيطَة: وهي البَيضةُ في لهجة شمال المغرب، أي بإبدال الضد طاء.

الضَّبرَة: بمعنى الجُرح الذي يكون في الدابة. وهو من الفصيح: الدَّبَرَة وهي قُرحةُ الدابة.

غطار: وهي في المغربية محرَّفة عن غُضار بمعنى: صَحنٌ للطعام.

مطرَّبة: وهي في المغربية محرَّفة عن مَضرَبَة بمعنى: لِحافٍ.

الدسارة: وهي مُحرَّفة من الجَسارة في الفصيح. وإبدال الجيم دالاً موجودٌ في بضع كلمات مغربية أخرى مثل: مدشر وأصلها: مَجشَر (أي تجمُّع سُكاني صغير) ودَشيشٌ، أصلُها جشيش (نوع من الطعام). ودازَ وأصلُها: جازَ. ودواز أصلُها: جَواز.

بَزَّاف: كثيرٌ، وهي مُحرَّفة من: بالجِزافِ، أي بدون تحديد.

الگلتة: وتُنطَقُ في المغرب بجيم قاهرية(g)، بمعنى: حُفرةٌ فيها ماءٌ أو مُستنقَعٌ. وهي من الفصيح القديم: قُلتةٌ. قال في **اللسان:** القَلتُ بإسكان اللام: النُّقرةُ في الجبل يَستَنقِعُ فيها الماءُ(...) وكذلك كلُّ نُقرةٍ في أرضٍ أو بَدَنِ أُنثَى. والجمعُ: قِلاتٌ».

لُوگيد: بالكاف المعقودة أو الجيم المصرية مع حذف الألف من (أل) التعريف كما هي عادةُ أهل المغرب: مُحرَّفٌ عن الوقيد.

المِيضَةُ: وهي مُحرَّفةٌ من المِيضَأَة. ونُطقُ هذه الكلمة على هذا النحو المستعمل في المغرب كطان شائعاً من قبلُ في عامية أهل الأندلس.

شِوِيَّة: قليلٌ. وتُنطَقُ الكلمةُ في المغرب بسكون الشين وكسر الواو،

وفي المشرق بفتح الواو. وهي من الفصيح. قال في **شمس العلوم**: «الشُّوَايَةُ: الشيءُ القليلُ من الكثير. يقالُ: ما بقيَ من المال إلا شُوَايةٌ، أي: شيءٌ قليلٌ، وشُوايَةُ الخبز: قُرصٌ منه».

القَيسارية: محرَّفة من القَيصَرية، وهي بمعنى سُوقٌ تجارية. وهذا التحريف قديمٌ في اللهجة المغربية الأندلسية، يرجع إلى القرن الثالث الهجري، وقد ذكره الزُّبيدي في **طبقات النحويّين واللغويّين** في ترجمة ابن قَطَن المهري (ت ٢٥٠هـ).

وللتطور الصوتي أمثلةٌ كثيرة في اللهجة المغربية، أهمُّها وأقربُها إلى الفُصحى تلك التي تنحو إلى الاقتصاد في الجُهد الصوتي مثل: تسكين الحركات ولاسيما في الأول أو الأخير(مْليحْ في مَليح)، أواختلاسها: (شبّاك، شفّار:cheffar , chebbak)، والاستغناء عن تاء التأنيث بالفتحة الممدودة (شَفرا، قرعا) في (شَفرة وقَرعة)، وتسهيل الهمزة على طريقة القبائل الحجازية، فيقولون: (مومنون في مؤمنون ـــ بير في بئر ـــ قايد في قائد ، جيت في جئتُ... الخ)، وحذف الهمزة (شيّ في شيء ـــ حْمد في أحمد ـــ فاس في فأس ـــ دْريس في إدريس ـــ سْماعيل في إسماعيل ـــ جيت في جئتُ.. الخ)، وحذف صوت المدّ (مَسحة في مِسحاة ـــ مَعزَة في مِعزاة... الخ). وقصر الممدود (صحرا في صحراء ـــ ما في ماء ـــ سما في سماء..الخ)، والانتقالُ من صوتٍ إلى مُجاوره في المَخرج، كتحويل التاء إلى طاء (الطراب في التراب)، أو الطاء إلى دال (الدراز في الطِّراز) أو الدال إلى ضاد (ضبْرة في دبَرة)، أو السين إلى صاد، ونحو ذلك. وهناك من التحوُّلات الصوتية ما هو أعمقُ من هذا وأبعد، وسنتطرّق لبعض أمثلته فيما بعد.

أما الكلمات المولَّدة التي اشتُقَّت قياساً على الفصيح القديم واستُعمِلت

في العامية، فمن أمثلتها في عامية المغرب:

العَبرَةُ: مِكيالٌ لوزن الحُبوب. من عَبَرَ الشيءَ: وزَنَه.

المَنصورية: نوعٌ من اللباس منسوبٌ إلى المنصور الذهبي سلطان السعديين (ق١٠هـ).

هَدَّنَ: بمعنى: هَدَّأَ وسَكَّنَ ، اشتقُّوه من الهُدنة. وكذلك اللازم منه: **تَهدَّنَ** بمعنى: سَكَنَ وهدَأَ.

وَحَّلَه: بمعنى أدخلَه في مُشكِلٍ. اشتقُّوه من الوَحَل. ومنه **الوَحلة** أيضاً بمعنى: الوُقوع في مُشكِل أو شَرَكٍ.

بيت الماء: المرحاض.

طَرَّفَ: غَسَلَ أطرافَه. وليست موجودة في القواميس الفصيحة.

رَيَّقَ: تناول طعامَ الفُطور، وهي من الرِّيق؛ لأنه يتناولُ طعامَه على الرِّيق. وفي بعض بلدان المشرق (كلبنان) يقولون: رَوَّقَ بمعنى: أَفطَرَ.

القانِع: الكَلب؛ لأنه يقنَع بما يُعطاهُ. وليست مستعملةً في الفصيح بهذا المعنى. وإنما القانِع: الراضي والخادِمُ والتابِعُ والسائلُ.

وإذا كانت لكل لهجةٍ عربيةٌ خُصوصياتُها المُعجمية والنحوية والصوتية، فإن نُقَطَ الالتقاء والاتصال بينها أكثرُ من نقط الاختلاف والانفصال، ولو كان هناك مجالٌ واسِعٌ لأتينا بأدلة لا تُحصى على ذلك. وللأسف الشديد، ما تزالُ الدراساتُ اللَّهَجيةُ في العالَم العربية لم تُنصَف أكاديمياً ولم يُعطَها حقُّها من البحث والوصف والمقارَنة، ولاسيما من قبل الباحثين العرب. ولو توفَّرَت لنا قواميسُ ودراسات نحويةٌ وصوتية وصرفية

مستفيضةٌ وكافية عن كل لهجة عربية ولاسيما من اللهجات المعاصرة، لكان أمامنا مجالٌ واسعٌ للمقارنة العلمية المفيدة، ولأفادنا ذلك فائدةً جليلةً في وضع تاريخٍ للمعجَم العربي كما يُحبِّذُ الكثيرون. ومع ذلك فقد تـــمكَّنا مع ما لدينا من معلومات قليلة في هذا الموضوع من ملاحظة كثير من أوجه الالتقاء بين عامية المغرب وبعض اللهجات العربية الأخرى، كاللهجة اليمنية والمصرية والعراقية والشامية والمكِّية والتونسية والجزائرية ولهجة شَمَّرَ (في منطقة حائل بالحجاز)، وغيرها.

فمن المشترَك بين عامية المغرب وعامية العراق مثلاً: لَفَّيت (لَفَفتُ) ـــ حَطِّتُ (حَطَطتُ) ـــ عَيَّطَ (صاح، صرَخَ) ـــ الحسُّ (الحركة)[1] ـــ وَيّاه (معه) ـــ عَرقانٌ (أَصابَه العرَقُ) ـــ الطهارة (الختانُ) ـــ الدَّلّالُ (المُنادي على البضائع في الأسواق) ـــ مَلَّسَ عليه (مَرَّرَ يَدَه عليه) ـــ ما يكون إلا الخير (لا يكون إلا خيرٌ) ـــ من تحت رأسه (من تدبيره) ـــ حَضَّرَه (أحضَرَه) ـــ بْهَل[2]: أبلَه، (جَعَقَ) بمعنى غَضِبَ وثار وانزَعَج[3]، (كَمَشَ) الشيءَ: قَبضَه

١ وهي من ألفاظ ألف ليلة وليلة أيضاً.

٢ ذكر الدكتور داود الجلبي الموصلي في كتابه: **الآثار الأرامية في لغة الموصل العامية** أن كلمة (بُهْل) كما تُستعمل في الموصل أصلُها من الآرامية (بَهَلا) بمعنى أبلَه، جاهِل، غبي. ولكن الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه: **درس تاريخي في العربية المحكية**، علَّق على ذلك قائلاً إن الكلمة من المُشتَرَك بين العربية وبقية اللغات السامية، ثم ربَطَها ببُهلُول التي يستعملها العامة بمعنى: أبله أو مُغفَّل. وأضاف إن (بُهل) ربما كانت مقلوبة من (أبله).

٣ يقولون في عامية المغرب: جَعَقَ عليه: أي ثار في وجهه غاضِباً. وذكرها الدكتور =

بيده[١]، غَشيم: غَمرٌ، غِرٌّ[٢].

ومن المُشترك بين لهجة المغرب ولهجة شَمَّرَ في منطقة حائل بالجزيرة العربية: أَبي (أَبغي) وكذلك هي مستعملة في لهجة مراكش وما حولها ـــ الجايْ (الآتي) ـــ الجُغمة (الشَّربةُ من الماء) ـــ الخَرّاطُ (الذي يُكثِرُ الادعاءَ والكذبَ) ـــ صْغا (استمَعَ) ـــ عَفَسَه (طرحه أرضاً) ـــ مَزنُوگ (بالكاف) من: مزنوق في دين أو غيره: أي في ضِيقٍ ـــ ناضَ (نَهَضَ) ـــ النَّص (النِّصف) ـــ نِيشان (أمارة، علامة) ـــ الهبال (نقص العقل، الحُمق) ـــ وَشْ؟ ، وفي المغرب: واش؟ بمعنى: ماذا؟ ـــ الوُلف: الحُبُّ والتأقلُم ـــ

ومن المشترك بين اللهجتين المغربية والمكِّية:

البالة: حُزمة من القُماش تُستعمل في المجال التجاري.

البَرّاد: إناء الشاي.

بَرّاني / برانية: غريب، غريبة.

بَطّانية: غِطاءٌ يلتحفُ به النائمُ.

= داود الجلبي الموصلي باعتبارها من عامية أهل الموصل، إلا أنه قال إنها من الآرامية (شَحَقَ) بعد قلب وإبدال بمعنى: رَضَّ وسَحَقَ وضَيَّقَ وأزعَجَ. يقولون: أراكَ مجعوق اليوم ، أي: مزعوجاً. والسامرائي يردها إلى أصل سامي مُشترَك(**درس تاريخي**..) مرجع مذكور.

١ وهو من لغة العامة في الموصل وغيرها من مناطق العراق، انظر: السامرائي: **درس تاريخي**.. ص: ١٤٠

٢ نفسه ص١٣٤

بَغى يَبغي: أراد يُريد.

جابَ: جابَ الشيءَ: أتى به.

خَمَجَ: الطعامُ: فَسُدَ وفاحت منه رائحةٌ كريهة.

دَردَب: دَحرَجَ.

الشَّنطَة: الحقيبة.

الطهور: الختانُ.

الفَرُّوجُ: الديكُ أو الصغيرُ من الدجاج.[١]

ومن المشترك بين المغربية والشامية:

خَطرة: مرة.

خَزَّزَ: طال مُكثُه في الماء فعلته خُضرةٌ.

عَفَس: داسَ.

عَيَّطَ: رفَعَ صوتَه ، صاح.

الفَريك: القمح الطري يُشوى.

ولا حاجة بنا إلى الإطالة بإيراد الأمثلة على ما هو مُشترك بين اللهجات العربية المعاصرة، فيكفي الرجوعُ إلى ما نُشِر من دراسات حول هذه اللهجات[٢] للتأكد من الكمِّ الهائل من الكلمات المشتركة بينها.

ومن المشترك مع اللهجة المصرية ولهجاتٍ أخرى: البَزُّولةُ: الثَّدي

---

١ راجع في الألفاظ المكية: **عامية مكة ومدى قُربها من الفُصحى** لفتحية حسين عبد الغفور عطار.

٢ انظر: أمثلة من هذه الدراسات في قائمة مراجع هذا البحث.

(انظر: **محيط المحيط**) ــ عَيَّطَ (صرَخ، صاح) ــ بَهدَلَ ــ شَقلَب ــ شافَ يشوف ــ شُربَة ــ شاكوش ــ شَرموطة ــ شَنطة ــ شِياطٌ ــ صينية ــ طاجن ــ طُربُوش ــ طَنجرة ــ عَمنَوَّل (عام أول: العام السابق لهذا العام)... والقائمة طزيلة[١]

١ــ ٢ ــ علاقة الانفصال:

إن أكثر الكلمات عُرضة للتغيُّر والزوال، والأكثر عُرضة للاختلاف بين اللهجات فيما بينها ثم بين اللهجات والفصحى: أسماء الأدوات والآلات والأواني، وأسماء الألبسة، والبضائع التجارية، والمصنوعات، وأسماء الأدوية، والنباتات والأعشاب والاصطلاحت التقنية التي تختلف من منطقة إلى أخرى. ولذلك قام بعضُ العلماء بمحاولات لترجمة بعض الألفاظ الخاصة المُستعملة في بلد أو منطقة عربية إلى ما يُقابلُها من الألفاظ المستعملة في منطقة أخرى. وأكثر ما وقَعَ من ذلك في ألفاظ النباتات وأسماء الأدوية المُفردة يوم كان الطبُّ والصيدلة مُعرَّبين. والمثالُ على ذلك ما قام به الطبيب المغربي عبد السلام العلمي (ت١٣١٣هـ) من تحويل أسماء الأدوية والنباتات الطبية والصيدلية التي أوردها داود الأنطاكي في **تذكرته** المشهورة، وهي المستعملة في مصر والمشرق، إلى ما يُقابلُها في لغة أهل فاس، وسمى كتابَه: **ضياءُ النِّبراس في حَلِّ مُفردات الأنطاكي بلغة أهل فاس**، وعلى منواله بالضبط قام محمد محفوظ (ت١٩٨٨م) في الفترة الأخيرة بتأليف كتاب

١ راجع على سبيل المثال: أحمد عيسى: **المحكم في أصول الكلمات العامية**.

سماه: **تفسيرُ مفردات الأنطاكي باللهجة التونسية**[١]. وقام غيرُهما بوضع مُقابِلاتٍ لكثير من الألفاظ الطبية والنباتية العربية باللهجات المغربية منها: **تفسير أسماء الأعشاب والعقاقير الشائعة** لعبد الرحمان الفاسي (ت ١٠٣٦هـ)، **وكشف الرُّموز في الطب** لعبد العزيز الرَّسموكي (ت ١٠٦٥هـ)، وقد قام فيه صاحبُه بتفسير أسماء الأمراض والأدوية باللهجة الشَّلحية البربرية، **وكشف الرموز في بيان الأعشاب** لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (ت ١٢٠٥هـ)[٢].

ومما يبتعدُ بالألفاظ والتراكيب اللَّهَجية عن الفُصحى العربية:

كثرةُ التحريفات والتغيُّرات الصوتية والصرفية التي تطرأ على الكلمات ذات الأصل العربي حتى ليصعُب على الكثيرين ردُّها إلى الأصل:

فمن التحريفات الصوتية بالإدغام والقلب والإبدال والنَّحت وغير ذلك من الأمور التي تبدو بعيدةً عن الأصل الفصيح، نأتي بهذه الأمثلة:

ـــ **بزّاف** في المغربية المُحرَّفة عن: بالجِزاف

ـــ **ما عَندوش**: ما عنده شيءٌ.

ـــ **ما بغاش**: لم يَبغِ شيئاً (لم يرد شيئاً).

شُخبارك: شُو أخبارك: ما هي أخبارُك؟ أو ما شأنُ أخبارك؟ ـــ

---

١ راجعه وعلَّق عليه إبر اهيم بن مراد ، وصدر عن دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٩٦م.

٢ انظر حول هذه الكتب وغيرها التي أُلِّفَت في هذا الموضوع، كتابنا: **المعجم في المغرب العربي**.

عماه: معه (معه ← معاه ← عماه بالقلب).

بْهَل: مقلوب أَبلَه.

ما كاينش (ما كائنٌ شيءٌ).

بلاش: بلا شيء ، بدون.

ـــ **كيراك ؟:** كيف أراك؟ (كيف أنتَ؟)

ـــ **مْعاياش ؟:** مع أيِّ شيء ؟ (في أي وقت).

ـــ **ما عْمَلْش:** لم يعمل شيئاً.

إضافة سابقة أو لاحقة إلى الكلمة. كإضافة الكاف إلى الفعل كيعمل (ك + يعمل) في المغربية ، أو الحاء في المصرية (حيعمل). وأحياناً تتمُّ إضافةُ كلمة كاملة (غادي نعمل) في (سأعمل).

ـــ **تحويل الهاء إلى ياء:** نايض عوض ناهض، / نايضة عوض: ناهضة.

ـــ **تحويل القاف إلى همزة** في بعض اللهجات (الأمَر عوض القمر).

ومن التغيرات الصرفية في الدارجة المغربية على سبيل المثال:

ـــ التعبير عن المثنى بإضافة كلمة (زوج) عوض علامات الإعراب (زوج رجال: رجلان)، والتعبير عن الاسم النكرة بإضافة كلمة (واحد) ، فيقولون: (جخل واحد الرجل) أي: (دخلَ رجلٌ).

ـــ دمج المتكلم الواحد في ضمير جماعة المتكلمين (يقولون: أنا نعمل / نحن نعمل) في كل من (أنا أعمل، و نحن نعمل).

– اختصار الصور الأربع لتصريف الفعل الماضي إلى ضمائر الغيبة (هما خرجا / هما خرجتا/ هم خرجوا/ هن خرجن) في صورة واحدة، فيقولون مع كل

الضمائر السابقة:(هُما خرجوا). وكذلك الآمر في ضمائر المخاطب (تقول: أنتُما جيتُوا) في (أنتما جئتُما ــ أنتمم جئتُم ــ أنتُنَّ جئتُنَّ).

ــ الاستغناء عن ضمائر جَمع المخاطبين (أنتم ــ أنتُنَّ) بضمير المثنى (أنتُما) في فتقول: (أنتُما الرجال، أنتُما البنات).

ــ عدم التمييز بين ضمائر الذكور والإناث في الغيبة فتقول: البنات خرجوا، الرجال خرجوا (عوض: البنات خرجت أو خرجن ــ والرجال خرجوا). ولا بين المثنى والجمع (هما خرجوا) عوض (هما خرجا / هما خرجتا / هم خرجوا / هن خرجن .

ــ اختصار جميع صيغ الاسم الموصول في الفُصحى (الذي ــ التي ــ اللذان ــ اللتان ــ الذين ــ اللائي ــ اللاتي) في صيغة واحدة مختصرة وهي: (اللي)[١].

- اختصار الصيغ العديدة لجموع الكلمة في صيغة واحدة أو اثنتين.وعدم التمييز بين أنواع الجموع المختلفة في الفصحى(جموع الكثرة، جموع القلة، جمع المذكر السالم، جمع المؤنَّث السالم، جمع الجمع، جمع التكسير.. الخ).

ــ تحويل بعض حروف العلة في بعض الأفعال والأسماء المعتلة مثل: قيَّاد عوض قُوّاد (جمع قائد)، مبيوعٌ عوض مَبيعٍ.

ــ تحويل الواوي من الأفعال أحياناً إلى يائي: كساه يَكسيه عوض

---

١ هو الذي ــ هي التي ــ هما اللذان ــ هما اللتان، هم الذين ــ هن اللائي ــ هن اللاتي (هو اللي ــ هي اللي ــ هما اللي ــ هما اللي ــ هم اللي ــ هن اللي)

كساه يكسوه.

ــ الاستغناء عن تعدُّد حالات الإعراب واختصارها في حالة واحدة (مَداحين ــ فلاحين.. الخ) في قولهم: خرج المداحين والفلاحين ورأيت المداحين والفلاحين...

ــ استعمال (فَعَلَ) مكانَ (أفعَلَ) نحو: صابه سَهمٌ عوض أصابه، طَلَقَه عوض أطلقَه.. الخ).

ــ تحويل بعض الأفعال من لازمة إلى متعدية بنفسها (جابَه عوضَ: جاءَ به).

ــ استعمال صيغة (فَعَّل) مكانَ (أفعلَ) مثل: نَزَّله عوض: أنزلَه، وخرَّجَه ودخَّله عوضَ: أدخله وأخرجه...الخ.

ب) تَهجينُ اللغة بالإكثار من إدخال الألفاظ والاستعمالات من لغات وطنية محلِّية أو أجنبية ودَمجها في العربية. ففي المغرب يقع الإكثارُ أحياناً من الألفاظ البربرية والألفاظ الفرنسية أو الإسبانية أو غيرهما، ومَزج ذلك كله بألفاظ من أصل عربي، لتتولَّد عنه لغة هَجينةٌ لا هي بالعربية ولا الفرنسية ولا البربرية[١].

ومن باب التهجين والإمعان في توطين الدخيل التعريب، الاشتقاقُ من

---

١ ونمثِّل لذلك بهذه العبارات:

ــ دّاوُوه للكُوميسارية وتكرفسُوا عليه مزيان، وهزُّوه في لابيلانص للسبيطار (أخذوه إلى قسم الشرطة وعَنَّفُوه (أو ضربوه) كثيراً، وحملوه في سيارة الإسعاف إلى المستشفى). فمثل هذه العبارة المكونة من خليط من الألفاظ البربرية (تكرفسوا ــ مزيان) والعربية (داوُوه: محرَّفة من أَداه: أي أتى به إلى مكان ما ــ (الحومة: الحي)، والفرنسية: (الكوميسارية ــ لابيلانص)، لا يمكن لغير المغربي أن يفهمها على الإطلاق.

الكلمات الدخيلة وإخضاعها للبنية الصرفية العربية (كرافا واحد الصيدي) (نَقَشَ القُرصَ المعدني graver un CD).

وقد يحدُثُ للمتكلِّم أن ينتقل من لغة إلى أخرى من اللغات المستعملة دون أن يشعر، فيبدأ مثلاً بالفُصحى وينتقلُ منها إلى العامية ثم إلى الفرنسية أو الإسبانية[١].

وما يقع للهجة المغربية من هذا النوع الغريب من التهجين والتخليط بين ألفاظ من كل لغة وجنس، يقع أيضاً لغيرها من كل اللهجات العربية التي اختلطت بالتركية[٢] والكردية والفارسية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية والقبطية والفينيقية والسُّريانية والعبرية وسواها من اللغات. وفي هذه المرحلة التي تصل إليها الدوارجُ واللهجاتُ، تُصبح الهُوةُ بينها وبين العربية الفُصحى شاسعةً، والفَجوةُ عميقة، ويُصبح الحديث عن انفصال تلك اللهجات عن أصلها له آذانٌ مُصغيةٌ وقلوبٌ متعاطفة. ولاسيما إذا عملت على تغذية هذا الشعور نَعَراتٌ عِرقيةٌ ونَزَعاتٌ شُعوبيةٌ، ودسائسُ خارجية.

---

١ مثاله: (لما خرجتُ من البيت تلاقيت بواحد الرجل، قال لي: بونجور قلتُ بونجور) (لما خرجتُ من البيت التقيت برجلٍ قال لي: صباح الخير ، فقلتُ له: صباح الخير).

٢ استُعمِلت في الجزائر أيام الحكم العثماني لغة مكونة من التركية وخليط من التركية والفارسية تُكتَب بالحرف العربي،ا كان يُطلق عليها اسمُ: العُصمانلية أو العُثمانية. وكانت هذه اللغة تُستعمل في بعض السجلات الإدارية والدواوين والمراسلات السياسية. انظر: أرزقي شويتام: **المؤثرات اللغوية الأجنبية في اللغة العربية في الجزائر: العُثمانية والفرنسية أُنموذجاً**. ضمن: **أهمية العمل الجواري في ترقية استعمال اللغة العربية**.

ولقد أصبح شائعاً خلال السنوات الأخيرة في أحاديث الشباب وكلامهم بمنطقة المغرب العربي، أن يستعملوا هَجيناً من الألفاظ العربية والفرنسية، كلمة من هنا وأخرى من هنالك، كما أصبحت بعضُ صَيحات الأغاني الشبابية المعاصرة (مثل الرابّ) تتميَّزُ فيما تتميَّزُ به، بالإكثار من الألفاظ الفرنسية بغير ضرورية تدعو لذلك سوى إرضاء فُضول الشباب المُغرَمين بكَسر الحواجز في كل شيء. كما أصبح معروفاً دورُ المنظمة الفرنكفونية في تشجيع انتشار الأغاني والأفلام الفرنسية أو المزاوِجة بين الدارجة والفرنسية، بالمال والجوائز والدعاية والإشهار وغير ذلك من الإغراءات المادية والمعنوية. وفي هذه الحال تجدني مُصدِّقاً تَمامَ التَّصديق كلامَ السيد عبد الحميد مهري عندما يقول في محاضرة له: «عرفتُ من بعض الإخوة أن من الوسائل التي استُعمِلت مؤخَّراً عند تنظيم سنة الجزائر في فرنسا، أن من المغنِّين مَن يتقاضَون منَحاً خاصةً إذا أدخلوا كلماتٍ فرنسيةً في أغانيهم.. »[١].

٢ ــ العواملُ:

أما كيف حدَثَت هذه الفَجوة بين الفصيحة والعاميات، فإن ذلك يرجعُ لعوامل كثيرة ــ كما قلنا ــ بعضُها قديمٌ وبعضُها أُضيفَ في المراحل المتأخِّرة. فمن العوامل القديمة:

٢ ــ ١ــ أن عدداً من اللَّهَجات العربية القديمة ــ سواءٌ منها التي أُدمِجَت في الفُصحى المُشترَكة المُختارة من لَهجات منطقة مُعيَّنة في الجزيرة العربية

١ **أهمية وضع سياسة وطنية للغات**. محاضرة للسيد عبد الحميد مهري الأمين العام السابق لحزب جبهة التحري الجزائرية، ص٢٢.

كما هو معلومٌ، أم التي لم تُدمَج ـــ ظلَّت قائمةً ومُستعمَلة على هامش الفُصحى، وحين انتقَلَ أصحابُها ـــ أو جُزءٌ منهم ـــ إلى مناطقَ مختلفة من البلاد المفتوحة، حمَلوا معهم لهجتَهُم وظلُّوا يستخدِمونها فيما بينهم، مع ما عَرَفَه هذا الاستخدامُ العَشوائي المُتحرِّرُ، مع توالي الأيام والأزمان، من تطوُّر وتحوُّل مستمرِّين. فحينَ هاجرَ جزءٌ من قبائل بني هلال وبني سُلَيم وبني مَعقِل ـــ على سبيل المثال ـــ من أوطانهم الأصلية، وأقامت فئةٌ منها في صعيد مصر، واستمرَّت أخرى في الرحيل، إلى أن وصلَت المنطقةَ الشرقيةَ من المغرب العربي، وأخرى ذهبَت أقصى من ذلك فاستقرَّت في المغرب الأقصى، فلا شكَّ أن كلَّ فَرع من القبائل الثلاث قد احتفَظَ بلهجته الأصلية، لكن مع الزَّمَن وكثرة الاستعمال والاختلاط مع اللغات المَحلية، تولَّدت عن كل فرعٍ من لغة بني هلال وسليم ومعقل لهجةٌ محلِّية، تجدُها في هذا القُطر غيرَها في القُطر الآخر، لأنها تلَوَّنَت في كل منطقةٍ باللغات المَحلِّية. وما قُلناه عن هذه القبائل وما تفرَّع عنها، يُقال بالمثل عن كل قبيلة عربية نزحَ جزءٌ منها نحو هذه البلاد أو تلك من أنحاء العالَم العربي والإسلامي. حتى أصبحنا أحياناً أمامَ حالاتٍ بلغ فيها التطورُ اللَّهَجي إلى أبعد مداه، فأنتَج لغاتٍ بخصائص منفردة لا هي بالعربية الواضحة ولا هي بفَرعٍ من لغات العالم المعروفة. والمثالُ هنا نقدِّمُه من لغة مالطا ولغة الصُّومال.

٢ ـــ ٢ـــ أن هذه اللهجات التي تُرِكَ لها، منذ البداية، حريةُ الوجود والحياة والحركة ـــ عكس ما حدَثَ للغاتٍ أُخرى كالفرنسية مثلاً التي تدخلت السلطةُ السياسية والإدارية والتعليمية منذُ البداية لحماية الاستعمال الفصيح ومحاربة بقية اللغات واللهجات المحلية بشراسة وقوة قلَّ نظيرُها في التاريخ، ولاسيما بعد الثورة

الفرنسية مباشرة ــ ظلَّت لهجاتٍ شَفويةً غير مكتوبة، فزاد ذلك من قابليَّتها للتطور السريع. ونحن نعلمُ أن اللغات واللهجات الشَّفَوية هي الأكثرُ عُرضةً للتحوُّل والتطور السَّريعَين من غيرها التي تتجاوز المرحلةَ الشفوية إلى مرحلة الكتابة فيزدادُ عليها ثِقلُ القُيود التي تحدُّ من سُرعة تحرُّكها وتحوُّلها، كلما زادت وظائفُها وعَظُمت مسؤولياتُها، كأن تصبح لغةَ تعليمٍ، ولغةَ علومٍ وثقافة وفكر وفلسفة ودينٍ وحضارة وفَنون.. الخ.

٢ ــ ٣ ــ أن اللغة العربية هي أول لغة صَمَدَت في وجه التغير والتطور اللذين عادةً ما يقضيان على كيان اللغات العادية ويُفتِّتانها إلى لغات متفرِّعة،وذلك فيما يشبه معجزةً يكاد اللسانيون المحدثون أن لا يصدقوها[1] أهمُ لغةٍ عالمية قامت بأداءٍ أكبر عدد ممكِن من الوظائف (الدينية والعلمية والفَنِّية والتواصلية والحضارية) لأطول مدة تاريخية ممكِنة (أكثر من أربعةَ عشرَ قرناً في ظل الإسلام وحده دون احتساب فترة ما قبل ذلك)، وفي أوسَع خارطة جغرافية، واحتكَّت بأكبر عدد من اللغات والثقافات، فكان من الطبيعي أن ينالَها الشيءُ الكثير من التأثُّر والتحوُّل، وأن ينعكِسَ ذلك على المستوَين كلَيهِما: الدارِج والفصيح. ومع ذلك، ظلَّت لحد الآن صامدةً في مكانها وصالحة للاستمرار عشراتٍ من القُرون الأخرى، بفضل ما تَملِكُه من مرونة في التعامُل مع سائر التحوُّلات والتغيُّرات.

٢ ــ ٤ ــ أن حركةَ التعريب في العالَم العربي لم تكن قد وصلت إلى

---

١ سبق لي أن تحدثتُ عن هذه الخصوصية التي تمتاز بها العربية، كما تطرق إليها المسدي في كتابه عن العرب والانتحار اللغوي.

مراحلها النهائية أو المُتقدِّمة في عدد غيرِ قليلٍ من مناطق ما يسمى بالعالَم العربي. وفي كل منطقةٍ لم يصل فيها التعريبُ إلى عُمقه المطلوب، نشأَت لهجاتٌ ابتعَدَت عن الفُصحى بدرجاتٍ تتفاوتُ بتفاوُتِ سَطحية التعريب أو عُمقه.

٢ ــ ٥ ــ أنه مرَّت على العالَم العربي قرونٌ عُرِفَت في التاريخ بعُصور التخلُّف والانحطاط الشامِل، فأصابَ الثقافةَ العربية وتعليمَ العربية ما أصابَ غيرَهما من أوجه النشاط العلمي والثقافي بصفة عامة، وانخفَضَ تبعاً لذلك مستوى الفُصحى، وتصاعدَ دورُ العاميات واللهجات، حتى وصلنا مرحلةً كنا نجد فيها التعبير العامي والألفاظَ الدارجة لا يكادُ يخلو منهما نصٌّ مكتوبٌ في أيِّ مجالٍ من الاستخدام اللغوي، من تاريخ وجغرافية وفقه ومراسلات إدارية وعُقودٍ ومراسيم سُلطانية وأدب وشعر[١]... كُلُّها مجالاتٌ تغلَّبَت عليها العامياتُ وكادت تُسيطِر عليها سيطرةً تامة، مع إسفاف الأساليب وركاكة التعبير وعُجمة ظاهرة ورطانة غالبة على ألسنة كُتّاب السلاطين الذين عادةً ما كانوا يُختارون ويُنتخبون من صَفوة الصَّفوة. ولولا بُزوغِ فجر النهضة الحديثة الذي أنقَذَ الموقِفَ وأعادَ للعربيةَ مكانتَها القديمة، لكانت العاميات قد حلَّت محلَّ الفُصحى بكل تأكيد.

أما العوامل التي أُضيفَت حديثاً ، فنذكر منها:

---

١ انظر من نماذج الكتابات التاريخية: **تاريخ الجبرتي**، في مصر، و **تاريخ تطوان** للرهوني في المغرب، ومن كتب النوازل الفقهية، **كتاب المعيار** للونشريسي. وفي الشعر سيطر شعر الزجل والملحون في منطقة المغرب العربي والشعر النبطي والعامي بصفة عامة في المشرق.

٢ ــ ٦ ــ أن الحركةُ الاستعمارية استغَلَّت ذلك الوضعَ القديمَ الذي آلت إليه اللغةُ العربية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر الميلادي، وتلك الصورة المُشَوَّهة التي انحدرَت إليها، وحالةَ الجُمود التي أصابَها،وسَطوة اللهجات وبروزَها، وتراجُع الفُصحى أمامَها في مراحل عصر الانحطاط وخلالَ أضعف حلقةٍ من حلَقات الضَّعف العربي والإسلامي، فأصبح يُصوِّر العربيةَ الفُصحى للناس على أنها لغةٌ انتهى أَمرُها وطواها التاريخُ، وعَجَزَت وانهارت، فهي تلفظُ أنفاسَها الأخيرة ولم يبقَ سوى إعلان موتها والاحتفال بدَفنها. تدفَعه لذلك دوافعُ سياسية استعمارية محضة بيَّناها في بحثٍ سابقٍ[١]. ولقد سَخَّرَ كلَّ طاقاته من أجل محاربة العربية عُموماً، والفُصحى على وجه الخُصوص، وصار يروِّج بكل ما يملكُ من آلةٍ دعائية رهيبةٍ، وسُلطة على الأرض ونُفوذ على كل الواجهات، للعامِّيات والتمكين للهجات واتخاذها لغاتٍ محليةً رسمية في كل قُطر على حِدة.

ورغم أن وضع الفُصحى قد تغيَّرَ تماماً عما كانَ عليه في عهد ما قبل النهضة الحديثة، ولم تعُد على ذلك النحو الذي كانت عليه من التخلُّف والفَقر والجُمود ــ بحُكم ما عرفته من تطوَّر خلال القرنين الماضيَّين بشكل كبيرٍ ولافتٍ للنظر، في معجمها واصطلاحاتها وتراكيبها وأساليب تعبيرها ومفاهيمها ودلالاتها ومجالات تداولها، وأسهَمَت في ذلك عواملُ كثيرة كانتشار التعليم والإعلام وفكِّ العُزلة وسهولة التواصل وغيرٍ من الأسباب ــ فإن هناك من الناس من يحاول إلغاءَ كلَّ هذا التطوُّر الإيجابيِّ الذي عرفَته

١ انظر: الودغيري: **اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية.**

العربيةُ خلال القرنين السابقين، ويأبَى إلا أن يراها على تلك الصورة القديمة التي رَسَخَت في أذهانِهم عن حالتها التي كانت عليها في عصور الانحطاط، ولذلك تراهم ما يزالون يصفونها بالتخلُّف والجُمود والافتقار إلى المُصطلحات وابتعادها عن عصر الحداثة، وكأنها ظلَّت محجوزةً في كَهفٍ مُظلِمٍ و لم تعِش حياةَ التطور العصري الذي عايَشته اللُّغاتُ الأخرى. من الصحيح أن نقول عن العربية إنها ما تزالُ في حاجة إلى مزيدٍ من التطور والنُّمُو، ولكن القِسط الذي تحتاجُ إليه لا يجعلها عاجزةً عن القيام بكل وظائفها المطلوبِ القيامُ بها، كما أن تهميشَها وإقصاءَها هما السبَبُ الحقيقي فيما تُعانيه من صُعوبات.

لقد انتقَلَت هذه الروحُ العَدائية للُفُصحى من مرحلة ما قبل الاستقلال إلى عهود ما بعد الاستقلال في أوطاننا العربية، وظلَّت تتفاقَمُ بدلَ أن تتوارَى أو تتراجَع.

٢ ــ ٧ ــ استشراء داءِ الغزو الثقافي واللغوي الذي ذكرناه سابقاً وتفاحُش أسبابه وظواهره بفعل عوامل كثيرة لا يسمح المجال بالتوقُف لتحليلها وذكر تفاصيلها، مصحوباً بتلك الشُّحنة العَدائية للُفصحى التي غَرسَها الاستعمارُ و ظلَّ يتعهَّدُها ويُغَذيها. ومن تجلِّيات هذا الغزو مُزاحمة اللغات الأجنبية للعربية الفُصحى داخل أوطَانها، في كل المجالات الحيوية كالتعليم والإدارة والاقتصاد والإعلام وغيرها.

٢ ــ ٨ ــ تهميشُ العربية الفُصحى وإبعادُها من مجالات حيوية كثيرة أهمُّها مجال التعليم التقني والعلمي والفّنّي، ومجال الإدارة كما الحالُ في عدد من

البلدان المغاربية، ومجالات أخرى كالاقتصاد وقطاع واسع من الإعلام. وقد تُرِكَت المجالات التي مُنِعَت منها الفُصحى إما للغات الأجنبية وحدها، وإما تقاسَمتها هذه اللغاتُ مع اللهجات الدارجة، ولم يُترَك منها للفُصحى إلا ما فاضَ عن حاجتهما، كما هو حالُ الإشهار والإعلام المرئي والمسموع والأفلام والسينما والأُغنية والمسرح والبرامج التلفزية والإذاعية ... الخ.

٢ ــ ٩ ــ تثبيتُ فكرة الدولة العربية القُطرية ذاتِ الحُدود الجُغرافية المُغلَقة والنظام السياسي الخاص، مما جعلَ هذه الدولة تتصرَّف داخلَ حُدودها التُّرابية بمنطق الدولة المُستقلة استقلالاً تاماً ونهائياً عن أية دولة عربية أخرى حتى في المجال الثقافي واللغوي الذي هو في الأصل مجالٌ مُشترَكٌ وملكٌ مُشاعٌ بين أبناء الشعوب العربية كُلِّها. فالعُزلةُ الإقليمية السياسية والتُّرابية أَسهَمَت بوضُوحٍ في إفراز العُزلة الإقليمية اللغوية، مما حدا بعددٍ من الأصوات أن ترتفع مُطالِبةً هناك وهناك بالاستقلال اللغوي والدعوة إلى « دَستَرة» اللهجة المحلية والاستغناء بها عن الفُصحى المُشتركة. وهناك في بعض دول المغرب العربي أصواتٌ متطرِّفةٌ تذهبُ إلى أبعدَ من هذا حين تصرِّحُ بأن الفُصحى هي لُغةُ الغُزاة العرب، وإذن لا مجالَ لبقائها على أرض هذه المنطقة. وهكذا أصبحت الفُصحى ــ والحالةُ هذه ــ لغةً منبوذةً ومُشَرَّدةً لا ظهرَ يَحميها ولا بلداً يأويها ولا اُمّاً حقيقية تحنو عليها.

٢ ــ ١٠ ــ وزادَ في نَبذِ الفُصحى وعُزلتها، داخلَ أوطانها، وتقوية دور اللهجات، حالةُ الفُرقة والتمزُّق والانقسام التي يعيشُها ما نُطلِقُ عليه مجازاً اسمَ (العالَم العربي). لقد انصرَفَ العربُ عن لغتهم بما هم فيه من

التنازُع والتنابُذ والتحارُب، فُأُهمِلَت وتُرِكَت لِمحنتِها ومُعاناتها. ويا ليتَ الأمر وقَفَ عند ذلك المستوى، فقد سُلِّطَت عليها اللغاتُ الأجنبيةُ بقُوة ضاريةٍ، وهي في عُقر دارها مَكشوفة عاريةٌ، فكشَّرَت عن مخالبها وأنيابها لافتراسِها ونَهشِ ما تبَقَّى من أشلائها المُبعثَرة وعِظامها المُكسَّرة، والناسُ من حولها في فُرجةٍ يتفكَّهون.

٢ ــ ١١ ــ انخراطُ أيادٍ أجنبية بشكل سافرٍ وواضح في الدعوة إلى الدوارج والعاميات وتشجيع استعمالها وإعداد الدُّعاة والمُنظِّرين لها من أبناء الوطن العربي، وبذل الأموال والعَطاءات السَّخية لآجل ذلك. وقد ذكرنا ــ في بحث سابق[1] ــ أمثلةً من هذا التدخُّل الأجنبي في دفع هذا الاتجاه والتحريض عليه، منذ القرن التاسع عشر، و لم يزدَد اليوم إلا اتساعاً واستفحالاً.

والخلاصة، أن العربيةُ الفُصحى، تُحاصَر اليوم من كلِّ جانب: تُحاصِرها القُوى الخارجية العامِلة بمخطَّط واضحٍ على تمزيق ما تبقَّى من خُيوط اللُّحمة التي تجمع الآمة العربية الإسلامية وتقوِّيها وتجمعُ بينها فتصبح قُوةً مخيفةً لها، وتُحاصَر، بإطلاق يد اللَّهجات لتعبَثَ فيها كما تشاءُ دون حسيبٍ ولا رقيبٍ، ويَدِ اللغات الأجنبية لتقضي على ما تبَقَّى من شَظاياها المُتكَسِّرة والمُبعثَرة هنا وهناك، سواءٌ في المدرسة أم في الإدارة والشارع والإعلام والإشهار والتجارة والاقتصاد وكلِّ ميادين الحياة. ويُحاصرُها من الجوانب كُلِّها ما هو أَمَضى وأقسى وأشدُّ، وهو الموقفُ السِّلبيُّ لأصحاب اللغة منها، وكلُّهم مسؤولٌ ضالعٌ في المسؤولية، إما مُدبِرٌ مُنصَرِفٌ عنها انصرافاً كلياً عن قصد ونيَّةٍ مُبيَّتةٍ، وكارِهٌ لها كراهيةً عَمياء رضَعَها–

---

١ الودغيري: **الدعوة إلى الدارجة في المغرب...**

فيما رضَعه من كراهيةٍ لدينه وتاريخه وحضارته وثقافته وانتمائه الحضاري – من لِبان المدارس الأجنبية، وإما مُهمِلٌ مُفرِّطٌ، أو غيرُ آبهٍ ولا مُبال، أو مُقصِّرٌ في حمايتها والاعتزاز بها، وهو بصَمته وإهماله وموقفه السَّلبي هذا مُتواطؤٌ على قتلها ونَحرها. وكلُّ هذا وذلك إنما بسببَ ما في نفوس أهلها من أمراضٍ وعُقَدٍ نفسية، وبسبَب تفكُّكهم وتمزُّقِ وحدَتهم وتخلُّف تفكيرهم وتبعيَّتهم واستلابهم. كلُّ ذلك جعلَهم يتنكَّرون للغتهم وهي الرُّكنُ الأساسُ لهويَّتهم.

وظُلمُ ذوي القُربَى أَشدُّ مَضاضةً على النَّفسِ مِن وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ

إن الفُصحى لا تنهَضُ بالتعاطُف الكلامي، ولا بالشعارات الفارغة، ولا حتى بكتابتها في ديباجات كلّ الدساتير العربية، أو التَّغَنِّي بأمجادها الماضية، ولكنْ بتفعيلها وإعمالِها في كلِّ مجالات الحياة، وتَعميمها وجعلِها لغةَ تلقين العُلوم في كل مراحل التعليم بمختلف تخصُّصاته، وفَرضها في الإدارة والاقتصاد وكل وسائل الإعلام ومجالات الحياة الأخرى، فضلاً عن العمل على تأهيلها وتطويرها وتنميتها، وتطوير مناهج تعليمها، والسعي بكل وسيلةٍ لنشرها في أنحاء مختلفة من العالَم. وهذا ما لا يخوضُ فيه أهلُ اللغة العربية بشكلٍ جدِّي، وإنما قد يُكثرون فيه الكلامَ دون جدوى ولا طائل.

٣ ــ أخطار الظاهرة:

لقد تعرَّضنا في بحث سابقٍ إلى أهم الأقاويل والدعاوى التي تطرحُها الموجة الجديدة المناهضة للفُصحى والداعية لإحلال العاميات محلَّها، في التعليم والإدارة والإعلام وكل مظاهر الحياة، ومنها:

ــ كونُ الفُصحى لغةً مَيِّتة (أو جامدة في أحسن الأحوال)، بينما

الدارجة لغة حيَّةٌ متطوِّرة ومُعبِّرة عن الحياة اليومية.

ـــ أن الفُصحى لغة الماضي تُدافِعُ عنها التياراتُ المُحافِظة في المجتمع، وهم يريدون لغة الحداثة والعَصرنة.

ـــ أن الفُصحى مرتبطةً بالدِّين والمُقَدَّس، فيجب تَركُها للمساجد والعُبّاد والمُتزَهِّدين والكُتُب الصفراء، والناسُ يريدون لغة الدولة المدنية اللادينية «العصرية». وأغلبُ الذين يقولون هذا من اللائكيّين الذين لهم موقفٌ معروفٌ من الدين.

ـــ أنها لغة أقلِّية من المُثَقَّفين المُعرَّبين لا تأثير لهم في مُجريات الحياة. ومن ثمَّ أصبحَ التعريبُ في نظرهم مجرَّد تخريب. والناسُ في عصر الديموقراطية ـــ كما يزعمون ـــ يريدون لغةَ الفئة العريضة من الشعب وهي العامية أو الدارجة.

ـــ أن الفصحى في نظر فئة من المُتطرِّفين الغُلاة ـــ ولاسيما في منطقة المغرب العربي الكبير ـــ لغةٌ أجنبيةٌ جاءت مع الغُزاة العرَب، مثلُها مثل أية لغة أجنبية أخرى جاء بها الاستعمار.

ـــ أنها في نظر آخرين ليست مُكوِّناً أساسياً من مُكوِّنات الهُوية.

إلى غير ذلك من المُسوِّغات الواهية.

ولاشك في أن المرء حين يتبرَّأُ من أيِّة علاقة له أو ارتباطٍ بالدِّين أو حضارة الأمة العربية الإسلامية وثقافتها وهُويَّتها وتاريخها ومُستقبلها ومصير وحدتها، أو يختفي تحت شعار شُوفينية إقليمية أو عِرقية أو طائفية، أو مصلحة إيديولوجية أو سياسية آنية، وأحياناً تحت غِطاء«الحياد السَّلبي» الذي يمارسُه بعضُ مدَّعي «الموضوعية العلمية» الزائفة والمُداهِنة، خوفاً أو

تَقيةً حتى يُحافِظ على موقعٍ أو منصبٍ عند ذوي الجاه والنُّفوذ، أو تملُّقاً لفئاتٍ اجتماعية معيَّنة... حين يفعلُ المرءُ ذلك، فلا عَجَبَ أن يهونُ عليه اتخاذُ موقفٍ من هذه المواقف السَّلبية والمتطرِّفة التي لا يهمُّها شأنُ هذه الأمة إن تمزَّقت أو تفرَّقت أو ضَعُفَت أو ذهَبَت يوماً إلى الجحيم. ولا عجَبَ أيضاً أن تسمع مَن يفكِّر على النحو الآتي فيقول: «إننا مغاربةٌ ونحتاجُ للغة توحِّدُنا، وهي اللغةُ الممزوجةُ بين العربية والأمازيغية والفرنسية والإنجليزية...»[1]. فالقائلُ هنا خالي الذهن عن فكرة الوحدة العربية والأمة الإسلامية حضارياً وثقافياً ودينياً وتاريخياً وسياسياً. كما هو خالي الذهن عن تصوّر جدِّي لما ستكونُ عليه مثل هذه اللغة الهجينةُ التي يدعو إليها، وكأن المغرب بلدٌ لم تكن له لغةٌ في يومٍ من الأيام، أو أنه يمكن أن يعيش مُنفصلاً تمامَ الانفصال عن بقية جاراته وشقيقاته في الدول العربية. أو أن اللغة العربية وحدها أصبحت لا تفي بالغرض. وعوضَ التفكير في إصلاح الواقع اللغوي وتقويمه، يعملون على «تَرسيمه» وتثبيته، على حساب كثير من القيَم التي لا يومنون بها.

وهكذا، فإن هذه الظاهرة التي نتحدث عنها، هي من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن ينظر إليها ويعالجها كلُّ شخص من موقعه الديني والثقافي والسياسي والاجتماعي وانتمائه الطبقي والقبلي والعِرقي...

---

١ من كلام نقلته رحمة بورقية عن أحد الفاعلين السياسيّين في المغرب، ضمن مقالها المنشور بمجلة: **المدرسة المغربية**، ع ٣ مارس ٢٠١١م. بعنوان: **التعدد اللغوي بين المجتمعي والسياسي**.

وباختلاف المواقع، تختلفُ الرُّؤى والمواقفُ. وأما نحن، فلا نخفي أننا ننطلقُ في معالجة المسألة من منطلق المواطن المُتعلِّق بدينه والمنتمي انتماءً قوياً لحضارة أُمته وثقافتها وتاريخها المجيد، والمتطلِّع إلى تحقيق أمال شُعوب هذه الأمة في الوحدة والنهضة والانتصار. بعد عصور من المحنة والانهيار والانقسام والتبَعية والمهانة والانكسار. ولكن هذا الانتماء لا يمكن أن يحول دون الإحساس بالمسؤولية العلمية التي تقتضي الصدق في القول والموضوعية في التحليل والشمولية في التناول.

من هذا المنطلق إذن، أرى أن تفاقُم ظاهرة العامية، وتعاظُم أصوات الداعين لها من أصحاب الموجة الجديدة، تشكِّلُ أخطاراً متعدِّدَةَ الأبعاد على مصير أمتنا ومآل وحدتها ومستقبل لغتها وثقافتها. ومن أهم الجوانب التي تتجلَّى فيها هذه الأخطار، في حالة نجاح مشروع الدعوة للعاميات والقضاء على الفُصحى المُشتركة، نذكر ما يلي:

ـــ تهديدُ كيانَ الأُمة العربية بالتفتيت اللغوي والثقافي والحضاري بعد التفتيت الجُغرافي الذي تُعاني منه، فيزدادُ ضَعفُها وانقسامُها على ما هي عليه حالاً من الضَّعف والفُرقة والانقسام السياسي، والإمعانُ في إحلال السُّطُوح الجُغرافية المُسيَّجة بحدودٍ وهمية وممتدة أُفُقياً، محلَّ العُمق التاريخي والحضاري المُشتَرَك، وإحداث عشرات اللغات القومية المحلية عوضَ لغة واحدةٍ جامعة وموحِّدة.

ـــ وضع حاجزٍ متينٍ بين أجيال المستقبل وأجيال الحاضر والمستقبل التي سوف تجد نفسَها عاجزةً عن قراءة تاريخها وتُراثها العلمي والأدبي والفكري بصفة عامة بلغته الأصلية، ومن لا يستطيع قراءة تاريخه لا يمكنه

الاعتزازُ بماضيه وجذوره التي تنقطعُ صلتُه بها بانقطاع وسيلة الاتصال وهي اللغة. ومن فقدَ العِزةَ فقد ذَلَّ وهانَ.

ـــ وضع حاجز يحولُ دون فهم النصوص الدينية الأصلية وخاصة القرآن والسُّنة، فهماً صحيحاً يؤدي إلى التطبيق الصحيح للديانة التي تدينُ بها الأغلبيةُ الساحقة من المنتمين إلى هذه الأمة. وأكثرُ مظاهر التطرُّف والشَّعوذة تأتي من سُوء فهم الدين وتطبيقه على غير حقيقته.

ـــ التفريطُ في أهمِّ رابطٍ قويٍّ ـــ بعد الإسلام ـــ مَنحه اللهُ لشعوب هذه الأمة لكي تلتقي وتتواصل فيما بينها على مرِّ العصور، واستبداله بعشرات اللغات المُصطنَعة والمَخبَرية واللهجات المحلية الضعيفة.

ـــ القضاء على أهم كتر من كنوز الحضارة والثقافة الإنسانية التي تختزنُها اللغةُ العربية طيلة قرون عدة لا يتوفَّرُ مثلُه لأية لغةٍ من اللغات البشرية الحية.

ـــ الاستسلام للغزو اللغوي والثقافي الأجنبي، لانعدام وجود لغةٍ أخرى من اللغات واللهجات المنتشرة في العالم الإسلامي تستطيعُ أن تقف في وجه الصراع اللغوي والثقافي الذي تخوضُه الأمةُ، لضعفها وقلة حيلتها. ولا يحسَبَنَّ أحدٌ أنه بتراجع العربية ستنتصر اللغاتُ الوطنية المحلية وتحلّ محلَّ العربية، في غناها وطول تجربتها وتراثها المكتوب، فما ذلك إلا ضربٌ من الوهم والخيال، فالحقيقة التي لا مراءَ فيها، هي أن كل شِبر تتراجعُ عنه العربية وكلَّ فراغٍ تتركُه سوف ستحتلُّه الفرنسيةُ (في المنطقة المغربية) أو الإنجليزية (في المنطقة الشرقية). وليس هنالك من لغةٍ كبرى لها من المقوِّمات

والعُدَّة والسلاح ما تقاومُ به الغزو اللغوي الأجنبي في أوطاننا سوى اللغة العربية. إن المنتصر الوحيدُ والمستفيدُ الأولُ والأخيرُ من سيادة اللهجات على الفُصحى وإضعاف العربية بصفة عامة هو اللغةُ الأجنبية (فرنسية أو إنجليزية)، ولا شيءَ سواها.

هذه الأخطار الجسيمة التي قد لا يُحسَبُ لها حسابٌ، أو يُستهانُ بأهميتها ووزنها وانعكاساتها، هي التي أصبحت مَبعَثَ قلقٍ جديّ على نحو لم يسبقُ مثيلُه من قبلُ، ذلك أن وجود لهجاتٍ للعربية تُستَعمَلُ بجانب الفُصحى ليس خَطراً في حد ذاته، ولكن الخطر هو أن تُستعمَل اللهجاتُ أداةً لمُحاربة الفُصحى ـــ لغة الوحدة الدينية والقومية (بمعناها الثقافي وليس العِرقي) والحضارية والثقافية ـــ وتُصبح ذراعاً من الأذرُع التي تستخدمها الفرنكفونيةُ أو الأنجلوفونية وغيرُهما من اللغات الأجنبية. واستعمالُ اللهجات لمحاربة الفُصحى لم يعد مجردَ دعوةٍ تُقالُ، أو صيحةٍ تُطلَق، أو تخطيطاً يُوضَعُ، وإنما أصبح واقِعاً يُعاشُ بشكل ملموس. يقول الأديب والروائي المصري المعروف جمال الغيطاني (سنة ٢٠٠٧م): «الدعوةُ إلى العامية قديمةٌ، الجديدُ الآن أن الدعوةَ لا تُطرَحُ، بل تُنفَّذُ على الفَور»[١]. ولقد استشعر عددٌ من العلماء والباحثين والمفكِّرين هذا الخطر الزاحفَ الذي أصبح يُهدِّدُ الفُصحى في هذه المرحلة كما لم يسبق أن هدَّدها من قبل، لدرجة أن بعضاً منهم قد استعمل في وصف الحالةَ التي تؤولُ إليها لغتُنا القومية في هذه المرحلة بحالة الانتحار، عبَّر عن ذلك الكاتبُ المصري الشهيرُ

---

١ المسدي: **العرب والانتحار اللغوي** ص ١٧٣

رجاء النقاش في كتاب جعل له عنواناً موحياً وهو: **هل تنتحر اللغةُ العربية؟**، كما عبَّر عنه اللسانيُّ والأديبُ التونسي المعروف عبد السلام المسدي في كتاب له بعنوان: **العرب والانتحار اللغوي**. ولقد كتَب المسدّي بمرارة شديدة قائلاً: «كلُّ ما في المشهد الخارجي يوحي بأن معركة اللغة العربية محسومةٌ، وكلُّ ما في النفس من تَوقٍ وأَمَلٍ، وما في القلب من سَكينةٍ وثَباتٍ وما في الفكر من تدبُّرٍ خلاقٍ، يوحي بأن العرب قد يلغُ بهم الغباءُ حتى التفريط في آخر قلعةٍ من قلاع الذات الجماعية»[1]. ويقول في موضعٍ آخر: « فنحن ننتحر لغوياً في تواطؤٍ جماعيٍّ فظيع، وانتحارُنا اللغوي تُرجمانٌ أمين عن انتحارنا السياسي» (ص١٨٥). ثم يمضي قائلاً (ص١٨٦):«والأمرُ في موضوع اللغة العربية أصعبُ وأكثرُ تعقيداً؛ لأن انحلال الفصحى بالضياع والتآكل المُفضِيَين إلى الاندثار تيارٌ يَجرفُ الجميع، ولا يتطلَّبُ جهداً؛ إذ يكفي فيه الاستسلامُ إلى القوة الضاغطة، وكل بلَدٍ سيلوذ بعاميَّته طبقاً لنزعة المجهود الأدنى. أما حركةُ الاستدراك فستكون متوقِّفةً على توافُق كل مراكز القرار السياسي وهي متعدِّدة مُتباينة وكثيراً ما هي مُتضارِبة..»ص١٨٦، ويصل به الإحساسُ بالأَلَم أقصاه حين يقول: (ص١٨٢):« ولكن ضرباً من الحَدس الاستشرافي يقول لي: إن غياب الوعي بالمُعضلة اللغوية لدى أصحاب القرار في وطننا العربي إذا استمرَّ على ما هو عليه، فإن اللغة العربية ستَكُفُّ عن أن تكون لغةً حيةً كما هي الآن، وذلك بعد ثلاثة أجيالٍ على أقصى تقدير، أعني بعد قرنٍ واحدٍ من الآن». وهو يقصد اللغة العربية

---

١ المسدي: **العرب والانتحار اللغوي** ص ١٦٧

الفصحى التي تعيش حالةً من الضَّعف بسبَب الإهمال والتهميش من جهة، وحالةً من تكالُب كلٍّ من اللغات الأجنبية واللهجات العامية عليها.

٤ ــ نحو تخطيط لغويٍّ لإنقاذ الفُصحى:

أما معالجة أخطار هذه الفَجوة والتغلُّب عليها في أوطاننا العربية، فلا يمكنان إلا باللجوء إلى التدخل المُباشر من قِبل الأجهزة الحكومية والمَجمَعية والعلمية والإعلامية، ووضع تخطيط لغوي وتدابير صارمة لحماية العربية من هذه الظاهرة الخطيرة، وهذا التخطيط لا بد أن يكون هدفُه الأساسُ تقوية مكانة الفُصحى في المؤسسات المُجتمعية، وتقليص الهوة بينها وبين اللهجات العربية المتفرِّعة عنها. ومما يجب اتخاذُه في هذه السبيل:

٤ ــ ١ــ إلزامية استعمال الفُصحى في كل مراحل التعليم وخصوصاً التعليم العالي بكل تخصُّصاته وشُعبه. وتقوية حِصصها في التَّعليمين العمومي والخصوصي.

٤ ــ ٢ ــ تعميم استعمال الفُصحى في كل المرافق الإدارية. ومنع استعمال اللهجات في كتابة اللافتات والإعلانات وأسماء المحالِّ والمتاجر والإشهار. وذلك بسنِّ قوانين صارمة وتفعيلها.

٤ ــ ٣ ــ اتخاذ تدابير على مستوى الوطن العربي كله لتقريب العامية من الفُصحى، وهذا لا يتأتى دون تعميم التعليم ومحو الأمية بالعربية الفُصحى.

٤ ــ ٤ ــ قيام الإعلام بكل أنواعه ومستوياته بدوره في هذا المجال. ولا نقصد بالإعلام نشرات الأخبار فقط، ولكن نقصد أن تُستغلّ كلُّ مساحة في فضاءات الإعلام استغلالاً جيداً لنشر الفُصحى وترويجها، كالأفلام والمسرحيات

والأغاني الفصيحة والبرامج الترفيهية الأخرى (برامج الطبخ، والمسابقات، والدردشة... وسواها)، والبرامج الرياضية، وبرامج الأطفال، والبرامج الاجتماعية، والدينية والسياسية والاقتصادية وغيرها. فضلاً عن الوسائط الإعلامية الأخرى من شبكات عنكبوتية وهواتف محمولة ونحوها.

٤ ــ٥ ــ إعادة الاعتبار للمدرسة الوطنية العُمومية داخلَ كلِّ قُطر عربيّ، بتقويَّتها مادياً ومَعنوياً وتربوياً، وإصلاح مناهجها وطُرُق تعليمها، وتقوية حِصص اللغة العربية فيها، والرَّفع من القيمة المعنوية والفعلية لمُدرِّسيها، وللشهادات التي تمنحُها، وإنقاذها من الإهمال والترهُّل الذي أصابَها خلالَ السنوات الأخيرة، وإعطاء الأسبقية في العمَل لخرِّيجيها في القطاعات العامة التابعة للدولة، وتقليص دور المدارس الأجنبية (سواء ما كان منها تابعاً لبعثة تعليمية أجنبية كالبعثة الفرنسية، أو تابعاً بشكل من الأشكال لبعثة تنصيرية وما أكثرَها في البلاد العربية) وقَصْرها على أبناء الأجانب المُقيمين، وإجبار المدارس الخاصة (أو الأهلية) على تبنِّي مناهج الدولة التي تضعها وزاراتُ التعليم العُمومي وعدمِ الخُروج عليها، ومَنعها من تطبيق مناهِج المدارس الأجنبية أو السيَّر على منوالها، وخاصةً تلك التي تُقصِي العربيةَ الفُصحى وتعليمَ الدين الإسلامي والثقافةَ العربية من برامجها. وفضلاً عن هذا وذاك، يجب أن نقول كلمةَ حقٍّ لا لبس فيها، وهي أن ديموقراطية التعليم، التي تعني بكل بساطة: المساواةَ بين المواطنين جميعاً في حق التعليم ونوعيته ومستواه، لا يمكن أن يكون لها تطبيقٌ عملي، بل لا يكون لها أيُّ معنىً في ظل الامتيازات التي تُعطى للمدارس الأجنبية وحاملي

شهاداتها، والأسبقية التي تُمنَحُ في كثير من أقطارنا العربية لخريجيها، في سُوق العمل وفي احتلال مراكز القيادة والقرار. ولا يمكن أن تغرِس قيَمَ المواطنة والولاء للأمة في نفُوس الأجيال الناشئة إلا إذا كان المُتعلِّمون جميعاً ينهَلُون من معينٍ واحد، ويرضَعون من ثَديٍ واحدة، وهو المدرسة العمومية. فالمدرسة العموميةُ هي التي تجعلُ الجميع ينالُون حظَّهم من التعليم والتكوين والمعرفة بشكلٍ متساوٍ لا ميزَ بينهُم. ولذلك يجب في نظري تقويةُ دور هذه المدرسة بالشكل الذي ذكرتُه قبل قليل. وهذا لا يعني ــ بطبيعة الحال ــ أننا نُقيِّدُ حريةَ الناس في تعلُّم ما يشاؤون، ونتحكَّمُ في اختياراتهم وما يريدونه لأبنائهم، ولكننا نُريدُ فقط:

أ) أن نضمن للجميع فُرصاً مُتساويةً في التعلُّم إلى أقصى حدٍّ مُمكن.

ب) وقَدراً مُشترَكاً من الثقافة والتعليم واللغة في مرحلة تعليمية معيَّنة (إلى مرحلة الشهادة الثانوية مثلاً)، لأن هذا القدر المُشترَك هو الذي يضمن الحدَّ الأدنى من التماسُك والانسجام الاجتماعي والحدَّ الأدنى من الولاء الفكري للوطن.

ج) أن نضع حداً لهذا الداءَ الذي يسمى (المدارس الأجنبية) الذي ينخُر جسم المجتمع العربي الإسلامي ويُحدِثُ فيه ما يشاءُ من الشُّروخ والنُّدوب والتَّمزُّقات والصراعات.

ولقد صدقَ الأديبُ الجزائري المعروف مالك حداد ــ وهو من الكُتاب الذين استعملوا الفرنسية في كتاباتهم ــ حينما قال: « إن المدرسة الفرنسية تستعبدُ أرواحَنا». وقبله كان جبران خليل جبران يقول: إن

«الشابّ الذي يتناول لُقمةً من العِلم في مدرسة أمريكية قد تحوَّل بالطبع إلى مُعتَمَدٍ أمريكي، والشابُّ الذي تجرَّعَ رَشفَةً من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً فرنسياً ، والشابُ الذي لبس قميصاً من نسيج مدرسةٍ روسية أصبح ممثِّلاً لروسيا... إلى آخر ما هنالك من المدارس، وما تُخرِجُه كلَّ عامٍ من المُمثِّلين والمُعتمَدين والسُّفراء...» إلى أن يقول:«نعَم سوف يعمُّ انتشارُ اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية، وتُعلَّم بها جميعُ العلوم، فتتوحَّد ميولُنا السياسية وتتبلور مَنازِعُنا القومية ، لأن في المدرسة تتوحَّد الميولُ، وفي المدرسة تتجَوهرُ المنازِع، ولكن لا يتمُّ هذا حتى يصير بإمكاننا تعليم الناشئة على نفقَة الأمة. لا يتمُّ هذا حتى يصير الواحد منا ابناً لوطنٍ واحدٍ بدلاً من وطنَين مُتناقِضَين، أحدهما لجسده والآخر لروحه...»[١].

٤ ــ ٦ ــ تفصيح عدد من الألفاظ والتعبيرات المُستعملة في عاميات العالَم العربي ودوارجه ولاسيما ما كانت العربيةُ في أمسِّ الحاجة والافتقار إليه ، ولاسيما ما كان منها مُراعياً لشروط التوليد والاشتقاق المعروفة في العربية، أما ما لم يكن كذلك فيجبُ تهذيبُه وتنقيحه ليُصبح مقبولاً عربياً. ومن هذه الألفاظ الدارجة على ألسنة المغاربة و لم تجد مكانَها في القواميس الحديثة نذكر الأمثلةَ الآتية:

بَحيرة (بُستان للخُضَر) ــ مِرَمّةٌ (آلةٌ للنسج الأثواب) ــ مَلوِية(نوعٌ من الرَّغيف الذي طُوى) ــ شِيبة (نباتٌ يُستعمل مع الشاي مثل النعناع) ــ دَلاّكٌ (آلة خشبية يدوية لدَلك العجين، شخص يُدلِّكُ جسم

١ راجع مجلة **الموقف** المغربية ع ٣ س ١٩٨٧م.

الإنسان) ــ كَسّابٌ (شخصٌ يتَكسَّبُ من تربية المواشي) ــ كَيّاسٌ (شخصٌ يمتهنُ تدليك الجسم باستعمال كَيس مُخصَّص لذلك) ــ مَنصورية (لباسٌ خفيفٌ يُلبَسُ فوق لباس آخر) ــ جَبّانةٌ (آنيةٌ يُوضَعُ فيها الجُبنُ أو يُصنَعُ) ــ السُّفُوفُ (نوعٌ من الطحين المُحمَّص) ــ الشَّبّاكية (نوعٌ من الحلوى المُشَبَّكة) ــ السِّلهامُ[1] (بُرنُسٌ طويل) ــ شَفّارٌ (لص) ــ قَرعةٌ (قِنِّينةٌ) ــ عَمّارية (هَودَج تجلسُ فيه العروسُ) ــ بَرّادٌ (آنيةٌ للشاي) ــ التَّفصيلة (القطعة المُفصَّلة من الثوب، الشِّقة)[2] ــ سَقّايَة (نافُورة يُستَقَى منها) ــ الهِندية (ثمرةٌ شَوكية أصلُها من أمريكا اللاتينية) ــ الصّيَنية (أداةٌ لحمل الأطباق وكؤوس الشاي وأصلها من الصين) ــ القَصرية (آنيةٌ من الفَخّار لحفظ السَّمن والعسل ونحوه) ــ

٤ ــ ٧ ــ العمل بكل الوسائل المُمكنة (عن طريق وسائل الإعلام والمدرسة وسواها) على ترويج الألفاظ العربية المُقابلة للكلمات الأجنبية التي يُضطرُّ الناسُ لاستخدامها في حياتهم اليومية بسبب جهلهم بمقابلاتها العربية، ولاسيما ألفاظ الحِرف والصناعات وما يُتدلوَلُ من ألفاظ وظيفية في كل مهنة من المهَن الحديثة.

٤ ــ ٨ ــ تأليف قواميس تتضمَّن الرصيد الوظيفي المشترك بين

---

١ أصل الكلمة موجودٌ في القواميس الفصيحة القديمة.

٢ كلمة تفصيلة المستعملة بشكل شائع جداً في المغرب بالمعنى الذي ذكرتُه، وردت في نص **ألف ليلة وليلة** وهي قوله: «ثم رَخَت (أي: أرخَت) القناعَ وأَخَذَت التَّفصيلة». وقد احتار المرحوم إبراهيم السامرائي في فهم معنى هذه الكلمة فقال: « أما التفصيلة، فلم أهتدِ إلى المُراد منها ، فربما كانت دالةً على نوعٍ خاصٍّ من الثياب» **التطور اللغوي التاريخي** ص: ١٨١.

الناس، يتكوَّن من الألفاظ المُتداولة في كل الميادين والحرف والمِهَن والأدوات والآلات والمُستحدَثات، على أن يتمَّ تحيينُه ومراجعته باستمرار لاستيعاب المُستجدات والتطوّرات.

٤ ــ ٩ ــ فرض رقابة على الاستعمال اللغوي من أجل تصحيحه وتصويبه في كل المجالات، وخاصة في مجالات الإعلام والإعلان والإشهار والدعاية ولافتات المتاجر والمقاهي والشركات وكل المرافق الخاصة والعامة.

٤ ــ ١٠ ــ سنُّ قوانين وتشريعات لحماية اللغة العربية، والفُصحى على وجه الخُصوص، وحُسن استخدامها. ولا يكفي أن تكون اللغة العربية لغةً رسمية منصوصاً عليها في ديباجات الدساتير العربية، ولكن لا بدَّ من تفعيل هذه الدَّسترة، بتحويل استعمال العربية إلى واقع فعلي نعيشُه ونحياه ونُمارسُه ، وليس إلى مجرد كلمات محنَّطة في دساتير لا يُعمَلُ بها. فواقعُ كثير من الدول العربية ومنها المغربُ والجزائر في الشمال الإفريقي، يقول إن اللغة الرسمية الحقيقية هي اللغة الفرنسية وليست العربية، رغم أن كل الدساتير المغربية منذ الاستقلال إلى يوم، تنصُّ على أن العربية لغة رسمية.

٤ ــ ١١ ــ تقوية أواصر الوحدة والتقارب بين الدول العربية؛ لأن من شأن ذلك أن يُساعد على تعزيز وضعية اللغة المشتركة بين هذه الكُتلة البشرية الواسعة.

مراجع البحث

مصادر قديمة:

ـــ **تاج العروس**، مرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الكويت.

ـــ **شفاء الغليل بما في العربية من الدخيل**، تحق. محمد كشاش، بيروت ١٩٩٨م.

ـــ **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، نشوان بن سعيد الحميري، تحق. حسين بن عبد الله العمريوآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م.

ـــ **طبقات النحويّين واللغويّين**، أبو بكر الزبيدي، تحق. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م.

ـــ **القاموس المحيط** للفيروزبادي، طبعة بولاق.

ـــ **القول المُقتَضَب فيما وافَقَ لغة أهل مصر من لغات العرب**، محمد بن أبي السرور الصديق الشافعي، تحق: السيد إبراهيم سالم، دار الفكر العربي، ١٩٦٢م.

ـــ **كتاب الأمالي**، أبو علي القالي، المكتب التجاري، بيروت، نسخة مصورة.

ـــ **كتاب سيبويه** ـــ تحقيق عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

ـــ **كتاب الكامل في التاريخ**، لابن الأثير .ط. دار صادر، بيروت ١٩٦٦م.

ـــ **لسان العرب**، ابن منظور الإفريقي، بيروت.

ـــ **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، عبد الرحمان السيوطي، تحق. محمد أحمد

جاد وصاحبه، مصر، بدون تاريخ..

ـــ **مقاتل الطالبيّين** ، أبو الفرَج الأصبهاني، طبعة دار علوم الدين، بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

ـــ **معجم الرهوني للغة العربية العامية التطوانية**، دراسة وتهذيب، زينب نبن عبود، تطوان ،٢٠٠٧م..

مراجع حديثة:

ـــ **ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق**، إبراهيم صالح الفلاي، الرياض ١٩٩٦م.

ـــ **الأضداد الفصيحة في اللغة العامية الجزائري**، عبد الجليل مرتاض، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، ع٢٢س ٢٠٠٩م.

ـــ **ألفاظ حضارية من خلال: آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني**، عبد العلي الودغيري، مرقون.

ـــ **أهمية العمل الجواري في ترقية استعمال اللغة العربية بالجزائر**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ٢٠١٠م.

ـــ **أهمية وضع سياسة لغوية وطنية للغات**، عبد الحميد مهري، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر ، ٢٠٠٧م.

ـــ **تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث**، عبد العزيز ابن عبد الله، دار لسان العرب، بيروت (دون تاريخ).

ـــ **التطور اللغوي التاريخي**، إبراهيم السامرائي،

ـــ **دراسات معجمية: نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى**، دار النجاح الجديدة، البيضاء (المغرب) ٢٠٠١م.

ـــ **درس تاريخي في العربية المحكية**، إبراهيم السامرائي، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٠م.

ـــ **الدعوةُ إلى الدارجة في المغرب: الجذور والامتدادات ـــ الأهداف والمُسوغات**، مجلة: **التاريخ العربي**، عبد العلي الودغيري، الرباط ع٥٦، ٢٠١١م.

ـــ **دور اللغة العربية في التنمية الشاملة وتحقيق الأمن الثقافي** ، عبد العلي الودغيري، بحث أُلقي في ندوة: التخطيط اللغوي، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، أبريل ٢٠٠١١م.

ـــ **رحلة المعجم التاريخي**، إبراهيم السامرائي، عالم الكتب، القاهرة١٩٩٩ م.

ـــ **سوسيولوجيا اللغة**، بيار أشار، ترجمة: عبد الوهاب تزو، بيروت ١٩٩٦م.

ـــ **العامية الجزائرية وصلتُها بالفُصحى**، عبد المالك مرتاض، الجزائر ١٩٨١م.

ـــ **عامية مكة ومدى قُربها من الفُصحى**، فتحية حسين عبد الغفور عطار، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٣٠ ط٢.

ـــ **العرب والانتحار اللغوي**، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠١١م.

ـــ **غريب لغة قبيلة شَمَّر: حائل وما حولها**، هَزّاع بن عبيد الشَّمَّري، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط١س٢٠٠٧م.

ـــ **قائمة مكة للمفردات الشائعة**، إعداد مجموعة بحث برئاسة تمام حسان، منشورات جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، بدون تاريخ.

ـــ **قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي**، عبد العلي الودغيري، منشورات عُكاظ، الرباط ١٩٨٩م.

ـــ **لغة الخطاب الإعلامي بين الفصحى والعامية**، عبد العلي الودغيري، ضمن كتاب: **اللغة العربية في الخطاب التشريعي والإداري والإعلامي في المغرب**، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ٢٠١١م.

ـــ **اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية**، عبد العلي الودغيري، مجلة: التاريخ العربي، ع٥٥ س ٢٠١١م.

ـــ **اللغة العربية بين التهجين والتهذيب، الأسباب والعلاج**، مجموعة من الباحثين ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، ٢٠١٠م.

ـــ **اللغة العربية بين الفُصحى والعامية**، خالد مُفلح عيسى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ١٩٨٧م.

ـــ **لهجات العرب** ، أحمد تيمور ، مصر ١٩٧٣م.

ـــ **المحكم في أصول الكلمات العامية**، أحمد عيسى، مصر ط١/ ١٩٣٩م.

ـــ **معجم إرجاع الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي**، أحمد محمد الصبيحي ، تحقيق محمد حجي، سلا، المغرب ١٩٨٩م.

ـــ **معجم البادية المغربية**، مجموعة من الباحثين، الرباط ج ١ س ٢٠٠٥م.

ـــ **معجم العامّي والفصيح من كلام أهل الشام**، محمد رضوان الداية ، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٤م.

ـــ **معجم الفصحى في العامية المغربية**، محمد الحلوي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م.

ـــ **معجم الفصيح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية**، محمد أديب عبد الواحد جمران ، مكتنبة العبيكان ، الرياض ٢٠٠٠م.

ـــ **المعجم في المغرب العربي حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري** ، عبد العلي الودغيري، البيضاء، ٢٠٠٨م.

ـــ **هل تنتحر اللغة العربية؟** ، رجاء النقاش، ، مصر ٢٠١٠م.ط٢.

فهرس الموضوعات

١ ــ اللهجات المعاصرة وعلاقتها بالفُصحى: ١٧٤
١ــ ١ ــ علاقات الاتصال: ١٧٤
١ــ ٢ ــ علاقة الانفصال: ١٩٣
٢ ــ العواملُ: ١٩٩
٣ ــ أخطار الظاهرة: ٢٠٧
٤ ــ نحو تخطيط لغويٍّ لإنقاذ الفُصحى:.....٢١٤
مراجع البحث.....٢٢٠
مصادر قديمة: ٢٢٠
مراجع حديثة: ٢٢١
فهرس الموضوعات.....٢٢٥